15em Année No. 728

Lundi — 16 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ـــــ ص

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦٦ — ١٦ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أســـد إفريقيـــة

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أسد إفريقية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابى .

السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبعد :

ملأت فضائلك البلاد ، ونقبت
فى الأرض ، يقذفها الخبير إلى العَمِى

فكأن مجدك بارق فى مزنة ... قِبَل العيون ، وغرة فى أدهم
واليوم مقذ للعيون بنقمه ... لا يهتدى فيه البنان إلى الفم
لم يبق غير شفافة من شمسه ... كمضيق وجه الفارس المتلثم

فأنت ، أبقاك الله ومتعك بالعافية ، قد كنت فى تاريخ العرب الحديث نفحة علوية من مجد آبائنا الغر الميامين ، وكنت فى ضمير كل عربى صدى للأمانى البعيدة التى لا تزال ترددها دماؤنا فى أبداننا العربية الحية ، وكنت قبساً من فضائل أسلافنا يحدث عن نفسه بلسان عربى مبين ، وكنت برهاناً جديداً لأهل البغى على أن العربى لا يذل أبداً ولا ينام على الضيم يراد به . ثم كتب الله لك بعد عشرين سنة من الأسر أن تعود كما كنت عربياً حراً حمى الأنف ذكى الفؤاد ، تأنف لأمتك وعشيرتك أن يروا ميسم ذلهم وهوانهم على جبين أكرمه الله بالنصر مرة ، وامتحنه بالأسر تارة أخرى . فعش فى حمى مصر أيها الرجل أميراً على قلوب مليون نسمة من العرب وأربعمئة مليون من المسلمين ، وجزاك الله عما قدمت للعرب أكرم جزاء وأوفاه .

***

كنت يومئذ فى العقد الثانى من عمرى شاباً ينبض بين جنبيه قلب يتلفت إلى مجد آبائه ويحن إلى تاريخهم حنيناً طويلا كأنه لوعة ثكلى على وحيدها ، وكانت مصر كلها لا تزال ترسل الصرخة إثر الصرخة طالبة أن تنال فى الحياة حريتها التى استلبها البغاة الطغاة شياطين الأرض ، وكانت الدماء فى أبداننا تريد أن تطفى ظمأ الأرض المصرية بما يجرى على ظهرها من دماء الشهداء حتى تمحو عار الاحتلال عن هذه الأرض المطهرة ، ولكن زعماءنا أبوا إلا السلم وطمعوا أن ننال حقنا بالمفاوضة ، أى بخديعة الغاصب حتى ينخدع لنا فيترك لنا ما سلب .

ثم أصبحنا يوماً فإذا بنا نسمع عن « أسد الريف » الذى هب من غابه ونفض نواحيه وزمجر واجتمع للوثبة ، وإذا هو يضرب يميناً وشمالا لا يدع للأسبان متنفساً حتى اضطرهم إلى أقبح مواطن الذل تحت قدميه ، وأوردهم شرائع العار شلا وطرداً حتى سجدت له تلك الجباه المتغطرسة فى حمأة من الضراعة والذل . كانوا يريدون أن يسوموا أهل مراكش أن يسجدوا لهم فى مثلها ، فأبيت إلا أن ترفعهم أقدارهم تحت هاتين القدمين الطاهرتين النبيلتين ، فأتم لك الله النصر عليهم كما شاء .

ثم أراد الله أن يعرفنا ويعرفك أن أذل من النذل ناصره على نذالته ، فهبت إليك تلك الدولة الأخرى المعروفة باسم فرنسا، وهي يومئذ ثانية أمم الأرض فألبت عليك جيوشها وجحافلها « وبيتانها » ؛ وفزعوا إلى نصرة الأسبان المهزومين ، وظلوا يستجيشون عليك ، أنت الضعيف الفرد ، كل ما آتاهم الله من بسطة في العلم وقوة في البأس ، حتى غلبوك على أمرك ، ثم خدعوك ، ثم غدروا بك ، ثم نفوك على عادتهم من فساد الطوية وحقارة الفعل . فأصبح كل عربي على ظهر الأرض يحس أنه الأسير المنفي المغدور به ، وانطوت قلوبنا على بغض لا ينام لهذه الأمم التي لا شرف لها ولا ذمة ولا عهد .

ثم تقضت الأعوام وشارفتُ الأربعين ، وإذا أنت حر طليق في أرضي وبلادي . فما كدت أسمع ذلك حتى انطوت أيامي وعدت كما كنت في نحو العشرين ، شاباً يحس دماءه تغلي لهذا النبأ كأنني انطلقت من الأسر وخرجت من المنفى لأعيش حراً طليقاً كما تعيش أنت اليوم في مصر . ومصر هي أم المروءات ، فإن ساء ذلك فرنسا أم الغدر والخيانة ، فإننا لن نفارق أخلاقنا وأخلاق آبائنا لكي نعينها على آثامها ومساوئها ، بل سنرد عليها بغيها مهما لقينا في ذلك من سوء أخلاقها وقبح فعالها .

ونحن لا نعلم علماً يقيناً ماذا فعلت بك هذه الأمة الحريصة على ابتذال عرضها بين الأمم ، أيام كنت في منفاها ، ولكن كفانا طول الاستقصاء أن نعلم أنها حرمت على تلك الألسنة العربية الصغيرة في أبنائك أن تعرف منطق آبائها وأسلافها ، فقد اضطرتها بجبروتها وقسوتها أن تتجافى عن الكلمة العربية التي تمثل للعربي أمجاد أمته في ألفاظ من نور هذه اللغة الشريفة . وسيقولون إنك أنت الذي أردت لأبنائك أن ينشأوا على ذلك اللسان الفرنسي ، ولكن كذبوا فما من عربي يطيق أن يدع أبناءه الأحرار في أسر لغة أخرى غير اللغة الحرة التي عاش عليها آباؤهم وأجدادهم . ولست أشك في أنهم قد اتخذوا لذلك كل وسيلة حتى لم يدعوا لك حيلة تدفع بها عن قلبك حسرة الأب العربي وهو يرى أبناءه ينشأون غرباء عن لسان أمهاتهم اللائي أرضعنهم بدرّ عربي حر آب للضيم طالب للعزة والشرف والنبل . وقد أراد الله غير ما أرادوا ، فها أنت اليوم بين أهلك وعشيرتك من أهل مصر ، وهؤلاء أبناؤك هم أهلنا وإخوتنا ، وهذه مصر بلادهم لهم فيها ما لنا ، فمن قليل يهدم اللسان العربي ذلك اللسان الفرنسي ، ويرتد العربي عربياً كما أراد الله له أن يكون ، كما ردك الله حراً كما أراد لك أن تكون . وأما فرنسا فقد رد الله غيظها في صدرها حتى يأكل منها ما بقي مما تستطيل به على الناس .

* * *

لا تأس أيها الرجل على ما فات ، فإن في الذي لقيه الناس من بعدك لعزاء لك عما لقيت في منفاك ، وإن الذي أنت فيه اليوم لهو نعمة من الله بها عليك لتحمل مرة أخرى سيف الجهاد في سبيله وفي سبيل أمته التي أنزلت بها فرنسا من بطشها ومظالمها ما لا قبل لأحد بالصبر على مثله . وقد ردك الله إليها لترى رأى العين ماذا فعل بعدك هؤلاء القوم بقومك ، ولتشهد مصارع الأحرار من أنصارك ، ولتملأ قلبك من القوة التي تفل الحديد وتنسف الجبال وتجتاح الجيوش — قوة الإيمان بالله الذي لا يخذل من نصره وينصر أولياءه بالحق في يوم الجهاد .

إن فرنسا لم تدع في تونس والجزائر ومراكش مكاناً إلا نفثت فيه من سمها ، أو ضربت فيه بإبرتها ، أو تدسست إليه بغدرها وجهالتها . إنها أمة لم ترع ذمة للإنسانية ولا للمروءة ولا للشرف ولا لشيء مما يصير به الإنسان حياً متميزاً من سائر الوحوش والضواري — أمة تفتري على الناس افتراء مقيتاً ثم تتبجح على الناس باسم الحرية والإخاء والمساواة ، أمة من الأذلاء لم يكد الغازي يغزو بلادها في الحرب الماضية حتى ألقت سلاحها وسجدت على مواطىء قدميه تمسح عنهما غبار الغزو ضارعة متذللة ، أمة لم تأنف آلاف مؤلفة من أبنائها أن تطلب التجنس بالجنسية الألمانية يوم أصابتها هزيمة واحدة في أول حرب تهزم فيها ، ولم تستنكف نساؤها أن تفتح الأغلاق للغزاة غير متورعات ولا كريمات .

إننا أيها الأمير نبغض هذه الأمة كأشد ما يبغضها دمك الذي يجري في عروقك ، لأننا إخوة جمعتنا رحم واحدة هي العروبة ؛ ونحن لا نخصها وحدها بهذا البغض ، بل نبغض كل أمة على غرارها قد استحلت مرعى البطش واستطابت ثمار البغي والعدوان .

تحقيقات تاريخية

للأستاذ أحمد رمزي بك

أفرد الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك البحرية » باباً عن السياسة الخارجية ضمنه حروب مصر وعلاقاتها مع الدول الأجنبية ، وهو بحث شيق دل على سعة اطلاعه وتدقيقه حينما عرض لما يتعلق بدول المغول فى فارس والقفجاق والهند ، ولكنى دهشت حينما أفرد قسما لدولة سماها أرمينية وأدخل فى حروب مصر معها فتح ملطية وآمد وغيرهما من البلاد الإسلامية إذ قال فى صفحة ١٦٨ « إلا أن الأرمن قد عاودوا العصيان فأرسل إليهم الناصر حملة وأمر تنكز بالانضمام إليها ، فخرج فى أول محرم سنة ٧١٥ وحاصر ملطية ودخلها فى يوم الثلاثاء ٢٣ محرم من تلك السنة . » وفى صفحة ١٦ « توالت انتصارات جند الناصر ففتحوا مدينة عزقية من أعمال آمد فى سنة ٧١٥ ثم فتحوا آمد بعد ذلك وقد ساعدت الأحوال السيئة فى بلاد أرمينية الناصر محمداً على غزوها فقد تولى عرشها الملك ليو الخامس » .

والمعروف أن أرمينية الجغرافية لم يكن لها وجود سياسى فى ذلك الوقت ، ولم تكن ملطية ولا آمد تحت سلطان الملك ليو الخامس ، وإنما كانت هناك مملكة للأرمن على أطراف بحر الشام وكان صاحبها يطلق عليه « متملك سيس » وقد انحصر ملك الأرمن فى منطقة من السهول حول مدينة سيس تحيط بها الحصون التى أنشأها المسلمون والصليبيون واحتلها الأرمن وتحصنوا فيها ، وكانت هذه الإمارة تخضع أحياناً خضوعاً إسمياً لمصر وتحالف المغول إذا جاءوا للفتح وتدارى ملوك الروم من سلاجقة وتركمان ، إذن فلا علاقة بين هذه المقاطعة والحروب التى قامت فى عهد الناصر فى ديار بكر والجزيرة وأرض الروم وترتب عليها فتح ملطية وآمد وغيرهما فقد حضر أبو الفداء تجمع عسكر مصر والشام فى حلب ولازم الحملة فى خروجها لفتح ملاطية وحدثنا عن المراحل التى قطعها الجيش المصرى من عينتاب إلى نهر الزربان وصحته مرزمان إلى رعبان فالنهر الأزرق قال « وجعلنا حصن منصور على يميننا » ثم إلى زبطرة حتى حصار ملطية ولم يذكر لنا الأرمن فى طريقه ولا فى عودته كأصحاب دولة وسلطان وإنما ذكر فى ملطية حاكما اسمه جمال الدين الخضر وهو من بيت بعض أمراء الروم . وأماكن هذه الوقائع التى مرت بها الحملة فى سيرها وعودتها معروفة على الخرائط وهى بعيدة عن أراضى ملك الأرمن فى سيس . وما قلناه عن ملطية ينصب على آمد الواقعة على نهر دجلة وبينها وبين « ليو الخامس » متملك سيس مراحل وأراضى شاسعة منها ما هو تحت

فنحن العرب لم نولد لنعيش ، بل ولدنا لنعيش أحراراً فى الدنيا ، ولنعلم أهل الدنيا معنى الحرية ، وكيف تكون الحرية . ولئن قعد بنا اليوم عجز عن تعليم هذه الناس ، فمن قريب سوف يأذن الله لنا بأن نأخذ بالأسباب التى تتيح لنا أن نعلمهم ما خلقنا من أجله ، وعن قريب تنقشع عن عيون كثيرة ضلالات كثيرة أوهمتها أن العرب أمة متخلفة قد نفض الزمن منها يديه فصارت كلا وعالة على أهل الأرض .

إن العربى من أمثالك هو الذى سيشهد تراب هذه الأرض فى يوم يرونه بعيداً ونراه قريباً ، أن فضائل البشرية كلها لم تزل حية على فطرتها الأولى فى هذه القلوب الزكية المطهرة ، قلوب العرب ، وأن العالم سيكون أسرع تقبلا للمعانى العربية فى الحرية والإخاء والمساواة من تقبله لتلك المعانى الفرنسية التى تلفعت بالجشع واللؤم والغدر والخداع . وأن العربى هو وحده الذى يستطيع أن يحقق على هذه الأرض معنى الحرية والإخاء والمساواة لأنه حر بالفطرة لم يألف ذلا قط ، ولأنه أخ لمن آخاه لأنه لا يعرف الغدر ، ولأن الناس عنده سواء لأنه لا يفتات على أحد ولا يفترى على سواء من الناس .

وأنت أيها الأمير سيف من سيوف الله ، ونحن جند من جنود الله فعش بيننا سيفاً مصلتاً مسلولا على أعناق البغاة والطغاة والظلمة ، حتى يأتى اليوم الذى كتب الله لك أن تكون فيه ذبحاً لعدونا وعدوك ونصراً لأمتنا وأمتك ، ومخرجاً لبلادنا وبلادك من ظلمات الأسر إلى نور الحرية .

والسلام عليك ورحمة الله .

محمود محمد شاكر

حكم مصر ، ومنها ماهو على حدودها فى الولايات التى كانت خاضعة أو متحالفة مع خانات أو إيلخانات مغول فارس ، وهى بقاع إسلامية لم يكن للأرمن وملكهم شأن بها . ودليلنا على صحة ما سقناه قول صاحب البداية والنهاية عند ذكره فتح ملطية «وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتار فاستناب بها رجلا كردياً فتعدى وأساء وظلم فكاتب أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا فى رعيته» . صفحة ٧٣ جزء ١٤ .

وفى أبى الفداء مايشرح شكوى أهل ملطية إذ قال «إن المسلمين الذين كانوا بها اختلطوا بالنصارى حتى إنهم زوجوا الرجل النصرانى بالمسلمة وكانوا يمدون الإقامة للتتر ويعرفونهم بأخبار المسلمين» صفحة ٩١ جزء ٤

ويظهر أن قاضى ملطية وكان أول من تلق جند الناصر وطلب منهم الأمان لبلده له يد فى هذه الشكوى التى جمل من ضمن ماجاء فيها ما يبرر استفزاز حمية الناصر الدينيـة وإن كان أبو الفـداء يضيف إلى ذلك سبباً آخر هو تعرض أهل ملطية لجند مصر المقيمين فى القلاع الشمالية مثل قلعـة الروم وبهنسى وكختا وكركر فى غدوهم ورواحهم . ويذكر المقريزى فى السلوك (صفحة ١٣٤ جزء ٢ للدكتور زيادة) إن التعرض كان ضد الفداوية من أهل مصياب الذين أرسلهم النـاصر لاغتيال قراسنقر المقيم بمدينة مراغة وإن الـكردى الذى تغلب على ملطية وجبى أموالها قبض عليهم وترتب على ظهوره أن نائب ملطية من جهة جوبان ويقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين خاف أن يأخذ الـكردى نيابة ملطية منه فكاتب الناصر واتفق معه على تسليم البلد إليه ، وقد خص فتح ملطية بصفحة فيها تفاصيل عن تسليم المدينة واحتفال نائبها والتشاريف والخلع التى وجهت إلى أعيانها ، ولم نجـد فيها ولا فيما لدينا من المراجع إشارة أو كلمة يفهم منها أن ملطية كانت تحت حكم «ليو الخامس» .

ونحن نلتمس للدكتور على إبراهيم حسن عذراً لأن السيروليم موير فى كتابه «تاريخ المماليك فى مصر» ذكر فى الصفحة ٨١ (طبعة مصر مترجمة) «أرسل السلطان الحملات على بلاد الأرمن التسعة وحصرت عساكره ملطية» ، وجاء من بعـده الأستاذ أنور زقلمة فوضع كتاباً عن «تاريخ المماليك» طبعة مصر كتب فى صفحة ٦٤ منه «وعاد الأرمن مرة ثالثة للعصيان عام ١٣١٤ فى عهد الناصر فأرسل لهم حملة قوية حاصرت مدينة ملطية» . وفى ذلك مايشعر بأنهم ينقلون جميعاً عن مصدر واحد وصاحب هذا المصدر إما اختلط عليه الأمر ولم يفرق بين ولاية سيس وأرمينية الجغرافية أو فهم من وجود طائفة من الأرمن فى ملطية أنهم أصحاب الأمر والنهى فيها ، أو هو على علم تام بهذه الحقائق ولـكنه كغيره من كتاب الغرب الذين لا يملكون التحرر من تقاليـد الحروب الصليبية ولذلك ينظرون دائماً بمنظار مكبر إلى كل مايذكر بآثارها ، ولما كانت ولاية سيس من تلك البقايا فهم يحمّلونها برغم أنف الزمن دوراً مهما فى التاريخ والحروب والعلاقات السياسـية ويضيفون إليها بلاداً إسلامية طال عهدها بالإسلام وأهله ، ويكبر على أنفسهم الاعتراف بأنها ولاية صغيرة فى كيليكية .

وواجب علمائنا فى التاريخ وضع الأمور فى نصابها وإعادة الحق لذويه ، ودولة المماليك من الدول الإسلامية التى لم ينصفها التاريخ وتعرضت لشتى الهجمات من مؤرخى الغرب ، ولـكن الدكتور على إبراهيم حسن أنصفها فى كتابه وأنصف مصر ، وكان كتابه من دلائل النهضة القائمة والوعى التاريخى لإعادة القيم الحقيقية لذلك العصر فله عظيم الشكر والثناء

وقد اطلعت بعد كتابة ما تقدم على تحديد نيابة حلب فى عهد الناصر كما جاء فى مسالك الأبصار ونقل ذلك صاحب صبح الأعشى فإذا فيه «ولاية حلب متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وبرية العراق وتحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء البهنسى وبلاد الأرمن على البحر الشامى» ...

ويفهم من ذلك أن بلاد الأرمن يقصد عند ذكرها الأراضى الواقعة على خليج الاسكندرونة والبحر الأبيض المتوسط وهى التى يطلق عليها اسم كيليكية أو ولاية ادنه التركية حالياً والتى يخترقها نهرا سيحان وجيحان من الشمال إلى الجنوب : وعرفت بهذا الاسم فى هذا العصر الذى نتحدث عنه وإلا فهى قديماً بلاد الثغور والعواصم وفيها قبر المأمون بطرسوس وضمت إلى مصر من عهد أحمد بن طولون ولها تاريخ طويل ومعارك وأيام .

ولما استملكها الأرمن بعد الحروب الصليبية تعرضت لهجمات المصريين فانتزع الملك الظاهر بيبرس قلاع بغراس والهنسي ودربساك سنة ٦٦٨ ثم فتح الأشرف خليل بن قلاوون قلعة الروم ٦٩١ وهي نهاية ماوصل إليه ملك الأرمن شرقاً ، وافتتح الناصر الحصون الواقعة في الشرق من جيحان ، ثم جاء الأشرف شعبان ففتح عاصمتهم سيس وبقية ما حولها من البلاد على يد قشتمر النصوري نائب حلب وبذلك أصبحت ولاية أدنه بأكلها تحت حكم مصر حتى الفتح العثماني .

وجاء ذكر الحصون والقلاع التي تسلمها الناصر من ملك الأرمن في كتب التاريخ وليس بينها خبر عن ملطية أو آمد ، ونظرة بسيطة إلى خريطة مفصلة لتلك المنطقة تجعلنا نتحقق من مواقع القلاع التي ضمها الناصر من بلاد الأرمن وهي تكون مع الأراضي تقريباً مايشبه المثلث قاعدته خليج الاسكندرونة بين بياس وإياس ودأمة المارونية (نسبة لهارون الرشيد) وهي جميعاً شرق نهر جيحان . ويقول أبو الفداء «وهو ملك كبير وبلاد كثيرة» . ويقول صاحب السلوك « وأقطع السلطان أراضي سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من الأمراء ، وأقر فيها جماعة من التركمان والأجناد ، فاستعملوا الأرمن في الفلاحة وعمل في كل قلعة من قلاع الأرمن نائب ورتب فيها عسكر »

ولكن الكتب التي أخذت من المصدر نفسه تقول بجلاء عسكر مصر ومنها كتاب الدكتور على إبراهيم حسن الذي يقرر في صفحة ١٦٩ « ثم جلت جيوش الناصر بعد أن جمت كثيراً من الأسلاب والغنائم » والحقيقة أن الجلاء كان عن الأراضي الواقعة بين النهرين أي شمال المصيصة وأدنة .

أما ما كان شرق جيحان فهو الذي تناوله الأقطاع ، ودليلنا على ذلك أن ملك الأرمن بعث بمفاتيح القلاع إلى القاهرة : وهي إياس (٣قلاع) والمارونية والنقير وكودا والحيمصة ونجيمة » كما جاءت في كتاب تاريخ سلاطين مصر والشام . ويضيف أبو الفداء مرفندكار والمصيصة وكوبرا ، ويقول «ضرب المسلمون برج إياس الذي في البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً ...

ومع بقاء ملك الأرمن في عاصمته سيس حتى عهد الأشرف شعبان تحت حماية ملوك مصر بقيت بلاده معرضة لهجمات التركمان وعسكر ابن قرمان من آسيا الصغرى ، ولذلك نجد أن كتب التاريخ تحدثنا باحتلال جند الناصر لبعض القلاع الواقعة على سفوح جبال طوروس أو التي تعترض الطرق الموصلة للجبال ، نذكر على سبيل المثال قلعة كولاك في شمالي طرسوس على خط عرض واحد مع المارونية وهي في نهاية الغرب من ولاية ادنة ، وهناك «باري كودوك» افتتحها باي دمير الخوارزمي في عهد الناصر وهي إلى الشمال من طرسوس ، ومنها « قلعة لؤلؤة » وهي شمالي كولاك .

ولا أجد تفسيراً لاحتلال هذه المناطق غير أن ملك الأرمن سلم بما بين يديه من الحصون التي على الشرق بشرط حمايته من الغرب باحتلال الحصون والمضايق التي يتسرب منها التركمان وعسكر ابن قرمان من الجهة الشمالية والغربية لمهاجمة بلاده .

إن التاريخ علم يتقدم مع الزمن شأنه شأن غيره من العلوم وقد يأتي لنا المستقبل بنصوص تفسر لنا كل ذلك فلا أجزم بشيء نهائي ...

أحمد رمزي

إنذار!

للأستاذ علي الطنطاوي

ركبت مع زميلي في البعثة القضائية السورية الأستاذ محمد نهاد القاسم ، زورقاً في النيل حملنا من (جسر اسماعيل) إلى (مصر العتيقة) بأجرة فاحشة قبضها منا صاحب الزورق ، وبعث معنا شاباً في نحو التاسعة عشرة ، قوي الجسم ، وديع النفس ، فأعمل المجاديف ساعة كاملة ، حتى هبط الليل ، وغسله العرق ، ونحن لم نصل ، فأشفقنا عليه وجربنا أن نسعده فما أفلحنا ، وكدنا نقلب الزورق به وبنا ، فيسبح فينجو وناقي نحن حتفنا ، فكففنا ، واكتفينا من الترفيه عنه بعمل بألسنتنا ، والمواساة باللسان أقل الإحسان … حتى دنا الحديث من أجرته ، فسألناه :

— كم تأخذ ؟

— قال : أربعون قرشاً .

— قلنا : في اليوم ؟

— فصاح مستغرباً : في اليوم ؟ كل ثمانية أيام !

— قلنا : أوليس لك أسرة ؟

— قال : أم أعولها .

— قلنا : أوتكفيك ؟

— قال : تكفيني ؟! أبداً .

— قلنا : فلماذا لا تطلب زيادة ؟

— قال : يضربني عمي أحمد ويطردني ، ويخبر زملاءه فلا يشغلوني وأنا لا أعرف إلا هذه المهنة .

— قلنا : وكم يحصل هو ؟

— قال : هو هو … كثير … كثير … عنده عشرة زوارق تمشي النهار كله ، كل ساعة أجرتها من عشرة إلى عشرين قرشاً

وتركناه وصعدنا إلى البر ، ونحن لا نزال نفكر فيه : شاب طويل عريض ، كيف يعيش مع أمه بخمسة قروش في اليوم ؟ والفرّاش والآذن ؟ كيف يعيشان بثلاثة جنيهات في الشهر ؟ والمؤذن ؟ والإمام ؟ والشرطي ؟ والعسكري ؟ ماذا يصنع هؤلاء ؟ هل فكر فيهم أحد ممن ولّاهم الله أمر هذه الأمة ، وائتمنهم على مالها ، وجعل إليهم المنح والمنع ، والرفع والوضع ؟

هل سأل واحدهم نفسه وهو يتخير أطايب الطعام من فوق مائدته ماذا يأكل هؤلاء المفلسون ؟

هل فكر وهو ينتقي بهي الحلل من خزانة ثيابه ماذا يلبسون؟

هل خطر على باله وهو يفسد أخلاق أولاده بالترف ، ويتلف صحتهم بالسرف ، أن لهؤلاء بنين وبنات لا تكفي رواتبهم لسد جوعهم بالخبز القفار ، وستر عوراتهم بالخام ؟ رواتبهم لا تكفي للطعام والثياب فكيف إذا ولدت المرأة وجاءت نفقات الولادة ؟ فكيف إذا مرض الصبي وأقبلت مصروفات العيادة ؟ فكيف إذا خطبت البنت وكانت تكاليف الزواج ؟ فكيف إذا دخل الأولاد المدرسة وطالبتهم بثمن العلم ؟ . فكيف إذا اشتهوا أن يتشبهوا بأبناء الناس يوماً … فأرادوا أن يأكلوا الحلوى الحلال أو يطلبوا اللهى المباح ؟؟ أم قد حرمت هذه المتع على الفقراء ، وكتب عليهم أن تكون حظوظهم من دنياهم كحظوظ البهائم : ملء المعدة بأرخص الطعام ، وستر الجسم بأيسر الثياب ، والاستكنان بشر المساكن ؟ وأن تكون معيشتهم أقل من معيشة كلاب الأغنياء ؟

قرأت في جريدة (العلم الأخضر) نقلا عن العدد ٦٧٣ من (مجلة الاثنين) أن (روى) كلب الوجيه الأمثل … فلان بك … يفطر كل يوم بكيلو من اللبن ورغيفين من خبز (الفينو) و (باكو) من الشكولاتة ثمنه بين ثمانية قروش وخمسة عشر قرشاً ويتغدى برطل ونصف رطل من اللحم المسلوق مع طبق مترع بالثريد ، وأن له طبيباً خاصاً … وخادماً أجرته عشرة جنيهات في الشهر عمله أن يصحبه في سيارته الخاصة به … في نزهتيه اليوميتين وأشياء أخرى من هذه البابة ، يتمتع بها هذا الوجيه الأمثل ، كلبه المدلل ، لا يصل إلى مثلها عشرة في المليون من بني آدم الذين يقطنون هذا الوادي … فلم أجد في العربية على سعتها ، وعلى طول اشتغالي بها ، كلمة تليق بهذا السفيه البذر الكافر بالنعمة وبالإنسانية وبالوطن ، لأقولها له … ولم أدر كيف أخاطب هذا المجتمع الذي بلغ الفساد فيه ، والانتكاس في أوضاعه أن صارت الكلاب تأكل (العيش الفينو) وكثير من الناس يتمنون الخبز الأسود … وتركب السيارات وهم يمشون حفاة … وتنام على الحرير وهم يهجعون على التراب … ويقوم عليها طبيب

خاص وهم غرقى في الأمراض ... لا يجدون الطبيب ...

هذه حال لا يرضى بها الله ، ولا العقل ، ولا الشرف ، وأنا أخاف والله أن تفتح علينا باباً من الشر لا يسد وتأتينا إن لم ننتبه لعلاجها بالداهية الدهياء، بالشيوعية المدمرة، التي تأكل أخضرنا ويابسنا ، وتمحق غنينا وفقيرنا ، فتكون لنا الراحة الكبرى التي لا ألم بعدها : راحة الموت .

هذه حال لا يمكن أن يحتملها بشر ، فإن كان من بيدهم الأمر لا يمشون في الطرقات ، ولا يخالطون الناس ، ولا يعرفون من الدنيا إلا القصر والسيارة والملاهي والرحلات ، فليسألوا : ما بال الفقراء ؟ ماذا يصنعون ؟ وما شأن صغار العمال والموظفين وكيف يعيشون ؟ وليعلموا أن عمر كان يخاف أن تضيع شاة على شاطئ الفرات فيحاسبه الله عليها ، أفلا يخافون أن يسألهم الله عن أمة بقضها وقضيضها ستضيع على شاطئ النيل : سيقتلها الجوع في أخصب أرض ، والمرض تحت أصفى سماء ، والجهل في أول دار للعلم والحضارة ؟

لقد كانت مصر طبقات يستعبد بعضها بعضاً ، فسوى بينها الإمام العبقري الهادي عمرو بن العاص (تلميذ محمد) وقطع هذا النظام الذي وصلته يد الدهر من عهد الفراعنة الأولين ، إلى عهد الإسكندر (تلميذ أرسطو) ، إلى أيام البطالسة والرومانيين ، وأفاض على الناس الهدى والعدل والنور ، فأحبوا لفعله الإسلام ، ودخلوا فيه وتركوا له ديناً كان لهم ، وأقبلوا عليه علماً وعملاً ، حتى كانت مصر مثابة الإسلام ، ومشرق أنواره ، ومورد علومه أفقدر عليها أن تعود القهقرى إلى عهد الجاهلية الأولى ؟ أترجع نظامَ الطبقات الذي مات ؟ أيكون فيها سادة وعبيد ؟ ويعلو بعض أهلها على بعض كأنما لم يفتح مصر عمرو ، ولم يركز فيها راية محمد ، ولم تكن مصر أم دنيا الإسلام ؟

أنا لا أدعو إلى المساواة المطلقة بين الناس فذلك ما لا يكون ولا يزال في الناس غني وفقير ما دام فيهم عامل وخامل ، وذكي وبليد ، لن يكونوا أبداً سواء في أرزاقهم ومعايشهم إلا إذا استوى الجنسان وتحقق حلم الدافعين عن (حقوق ...) المرأة فانقلبت رجلا ، ونبت لها شاربان و ... لحية !

ولكن أدعو إلى تقريب المسافة بين طبقات الناس ، عاليها ودانيها ، وأن تضمن الحكومة لكل إنسان حقه الطبيعي في الطعام واللباس والمسكن ، وألا تقر في موازنتها راتباً لموظف مهما نزلت درجته ، لا يكفل هذا الحق له ولأسرته ، ولو كان كناس الطريق ، أو ناطور المراحيض ، وأن تسوى بين الناس (المساواة الممكنة) التي حققها الإسلام في أول الدهر في عهد الشيخين ، والشيوعية في ذنب الزمان في أيام ستالين ، وإن اختلف نوعهما ، فكانت تلك مساواة في السعادة ، وهذه هي المساواة في الشقاء !

لقد نشأت في الشام ، وسحت في البلاد ، فرأيت في كل بلد أغنياء وفقراء ، وسعداء وأشقياء ، ولكن لم أر أبداً مثل الذي رأيت في مصر !

فما هذا التفاوت بين البشر في مصر ؟ ما هذا الوضع الذي يجعل من الناس واحداً يملك مليوناً ومليوناً لا يملكون واحداً ؟ وألفاً يشتغلون لرجل ، والرجل لا يعمل عملا ؟ وإنساناً يظن نفسه من الغنى والكبر إلهاً ، وأناسيّ تحسب أنها من الفقر والضعة بهائم ؟

متى كان هذا في طبع العربي ؟ متى كان في شرع المسلم ؟

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

يا ناس . راقبوا الله ، فإن هذا ظلم ، والله لا يرضى لعباده الظلم ولا يقرهم عليه ، ولكنه يعد للظالم ثم يأخذه ... فاتقوا إخذة الله

يا ناس . اعقلوا ، فإن هذا باب الشيوعية فإن لم تغلقوه دخلت عليكم فأهلكتكم .

يا ناس . ارحموا ، فإن هؤلاء ناس مثلكم ، لا تحسبوهم بهائم لئلا يصنعوا فيكم صنيع البهائم ، فيثوروا عليكم رفساً ونطحاً وعضاً ولدغاً ، فلا تملكوا دفعهم ، ولا النجاة منهم ...

لا ، لا تحقروهم ، فإن الدجاجة إذا هبت تحمي فراخها استأنت فانقلبت صقراً ، والقطة إذا ضويقت وغضبت صارت نمراً والماء إذا اندفع كان سيلا مدمراً ، والهواء إذا انفجر كان إعصاراً مخرباً ، ولولا الضغط ما ثقب المسمار الخشب ، ولا أطلق المدفع القنبلة ، ولا زلزلت الأرض ، ولا انفتحت البراكين ، ولا ثارت الشعوب .

فارحموهم ترحموا أنفسكم ! واعدلوا فيهم تدفعوا عنكم يوماً أسود لا تعلمون إذا حل عمّ ينجلي سواده ! وقوا مصر إن كنتم تحبون مصر ، جائحة مهلكة ، وداهية مكفهرة ، أولها الشيوعية وآخرها ما لا يعلمه إلا الله ! وهذا إنذار ! !

علي الطنطاوي

بين أدب المرأة وأدب الرجل

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلاني

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

يقابل هذا من أدب الرجل في أبدع صوره وأبهى معانيه قول المعتمد بن عباد وقد حال حاله وتحالفت عليه صعاب الأمور وأخذته الأعادي من كل حدب وصوب ونصح له الناصحون أن يسايرهم ويخضع لهم فانبرى يقول :

قالوا الخضوع سياسة فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضوع على فمي السم النقيع
إن يستلب منيَّ العدا ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم يسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع أيسلب الشرف الرفيع
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

هذا الكلام الجميل من لغة التفاخر والعزة والأنفة وكبر النفس ولكنه مع هذا ليس من لغة الخصومة السياسية وليس من لغة الحرب الشعواء التي تنطوي عليها عبارة « أنت أسفر في عيني من ذباب » . هذا كلام حرب ذهبت في ساحتها هذه المرأة وهي تخط بدمها أن أدبها للعقل وأنه أصدق أنباء وأدق تعبيراً وأكثر صراحة .

ومما يقيم الحجة البالغة أيضاً على أن أدب المرأة واقعي صريح دقيق الأداء وأنه للعقل وليس للعاطفة ، فن المدح . فهذه ليلى الاخيلية ازدهاها حزم الحجاج وشدة بأسه قراحت تؤيده وتصوره أبرع صورة فتقول :

إذا نزل الحجاج أرضاً سقيمة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها
غلام إذا هز القناة سقاها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم ولا الله يعطي للعصاة مناها

وبذلك خرج أدبها هذا عن كونه مدحاً يسبح فيه بسجايا الممدوح مما توفر فيه أو لم يتوفر ، أو مبالغات بعضها آخذ بأعناق بعض ، أو كلاماً معقداً ؛ أقول خرج إلى كلام على قدر المعنى قررت فيه خصيصة الحجاج وامتدحته في شطر واحد من بيت فقالت :

« غلام إذا هز القناة ثناها » . ولم تقل كما قال المتنبي :

لم يخلق الرحمن مثل محمد أبداً وظني أنه لا يخلق

وأعتقد أن هذا كلام ينطوي على لغة العاطفة وما تحتويه من مبالغات واضحة .

وللقارىء مقارنة أخرى بين شاعر وشاعرة فيها تعزيز جديد لصحة ما ذهبت إليه — من أن لغة المرأة في استنهاض الهمة وتحريك الروح الخامد أقوى أثراً ، وأكثر صراحة ، فهذه عفيرة بنت عفان تستنهض الهمة بكلام من الجمر ووابل من الحمم إذ تقول :

وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لاتعاب من الكحل
ودونكمو طيب العروس فإنما
خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً
ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

وهذا لقيط بن يعمر الإيادي يحذر قومه أيضاً ويستنهض هممهم بلغة متجاوبة المعاني فخمة الألفاظ إذ يقول :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
ماذا يرد عليكم عز أولكم إن ضاع آخره أوذل وانضما

***

وليست السيدة زبيدة وحدها أو عفيرة بنت عفان أو ليلى الأخيلية آيات لإقامة الحجة على أدب للمرأة صراح قراح ، بل هناك غيرهن في أقوالهن الدقة في التعبير والصدق في الأنباء والشرف في القصد ؛ فقد كانت السيدة عتبة بنت عفيف الطائي أم حاتم كثيرة المال ، مبسوطة اليد ؛ فلما خشي إخوتها الفقر عليها حجروا مالها إلا قطعة من الإبل ، فمنحتها سائلا سألها ، وقالت :

لعمرك قدما عضني الجوع عضة
فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني
وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فما ذا عساكم أن تقولوا لأختكم
سوى عذلكم أوعذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة   فكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

ولما جيء بسفانة ابنة حاتم أسيرة للنبي صلى الله عليه وسلم انطلقت تقول له من أدب المرأة هذا المقال :

« يا محمد ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب! فإن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى ويقتل الجانى ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد فى حاجة فردَّه خائباً ، أنا بنت حاتم الطائى » .

ويكفى هذا الكلام إثباتاً أنه من أدب العقل، وأنه الذروة فى دقة التعبير وصدق الأنباء . إن جواب النبي عليه كان :

« هذه صفات المؤمنين حقاً — خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

٣ — الحلقات المفقودة فى أدب المرأة

هنالك حلقات من الأدب توفرت فى أدب الرجل وفقدت من أدب المرأة فقداً تاماً فجاء أدبها بهذا الفقد أكثر نبلا وأوفر فضلا وأصدق فناً. وليس بضائرها أن يعرى أدبها من هذه الحلقات وأن لا تعرفها أو تدين بها وهى برهان جديد على أن للمرأة أدباً يختلف عن أدب الرجل أشد الاختلاف ، ذلك أن الرجل أفرد فى أدبه باباً للتحذير من المرأة والتنبيه على أنها شيطان رجيم . وتلمس أدب الرجل من هذا المعنى أفانين الكلام وضروبه فزور الأحاديث ونحت الأمثال وقرض الشعر وصفف السجع جاعلا من كل ذلك مثلبة للمرأة ومنقصة لها من حيث بقى كلام المرأة صافياً لا تشوبه أمثال هذه الأكدار .

ولقد تطاول هذا الأدب على الحديث فدس على النبي صلى الله عليه وسلم أن المرأة قرارة اللؤم ودارته ومنبت الشر ونبعته ؛ ولم يكتفوا بهذا على شدة وقعه بل أضافوا إليه أحاديث أخرى استنبطوها من عند أنفسهم .

منها : « أوثق سلاح إبليس النساء » . ومنها : « النساء حبائل الشيطان » و « شاوروهن وخالفوهن » . و « إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن » . لقد أراد أدب الرجل أن يصف المرأة بمثل هذه الأوصاف على لسان رسول الله

وهذه الأوصاف وإن كانت بعيدة عن الواقع ولا تصبر أبداً على محك المنطق فإنها أبعد ما تكون عن بلاغة الرسول الكريم وما جاء فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم عن المرأة .

وعزز أدب الرجل هذه الجهة بأن أورد على لسان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال: لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن يدبرن العيال . لا دين لهن ولا عقل لهن . ينسين الخير ويحفظن الشر » الخ ...

فإذا عرفنا أن الامام عليه السلام أمير البيان — وأن نماذج كلامه البليغ مثبتة فى نهج البلاغة ، وهى ترتفع فى جملتها عن مثل هذا الشتم أمكن القول بأن هذا أدب من جملة الحلقات التى أراد الرجل أن يستكمل بها فنون القول مما انعدم فى أدب المرأة وأنفت اللجوء إليه . وليس هذا فقط فقد جاء الرجل بما ينسبه إلى العقلاء والفلاسفة والشعراء ليأخذ على المرأة سائر مناحيها ، فزعم أن الأقدمين قد قالوا « لا تدع المرأة تضرب صبياً فإنه أعقل منها » . وأن سقراط رأى امرأة تحمل ناراً فقال : نار تحمل ناراً ، والحامل شر من المحمول » .

هذه نماذج من أقوال الرجال تدون فى كتب الأدب على أنها فن من فنونه ، وعندى أنها فن من فنون القراض والثقب والبرد لا أقل ولا أكثر مما لم يرد فى أدب المرأة جميعه .

وليس هذا فقط بل جاء فى هذا الضرب من الأدب كلام وجيع مؤلم ؛ فقد قال أحدهم :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن   جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وان هى أعطتك الليان فإنها   لغيرك من خلانها ستلين
وخنها وإن كانت تفى لك إنها   على مدد الأيام سوف تخون
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها   فليس لمخضوب البنان يمين

يقابل هذا فى أدب المرأة أدب واحتشام وصمت واحترام ، إذ هو حلقة مفقودة لديها لا تعرفه ولا تحسن سوغه ولا تتقن فنه ، وذلك عندى نقص يفوق كل تمام .

ولم يقتصر هذا اللون من الأدب على مهاجمة المرأة بالتهمة فقط ، بل استهدف القضاء المبرم على خصائصها ؛ فقد جاء على لسان شاعر الفلاسفة أبى العلاء المعرى قوله :

علموهن الغزل والنسج وخلوا كتابة وقراءه
فإن صلاة الفتاة بالحمد
والاخلاص تغنى عن يونس وبراءه

إن هذا فضلاً عن كونه وضعاً شاذاً فهو لون من الأدب بقيت المرأة تجهله وستجهله دائماً ما دامت قد خلقت لرسالة فى الحياة سامية القصد رفيعة المجد ، وكان عليها أن لا يتجسد عندها هذا الفرق لولا ما تفرع عنه بالفعل ، ومن هذا أن القرآن الكريم أباح النظر إلى وجه المرأة فصيروا وجهها عورة ، وفرض عليه النقاب حتى أصبح كفها عورة وحتى صوتها ، وإن كان فى قراءة القرآن ، وتعدى الأمر إلى أكثر من هذا أيضاً فاعتبروا اسمها عورة ، وضرب عليها الذل والهوان إلى هذه الدرجة حتى أن المتنبي وهو من نعرف شعراً وأدباً عندما أراد أن يرثى خولة بنت سيف الدولة لم يستحسن أن يورد اسمها الذى كان عورة بل استبدله بوزنه فقال :

كأن فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

هذا هو الذى حز فى نفس المرأة كثيراً ، فقد أزيحت من المجتمع وضربت عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب على غضب ، وحيل بينها وبين ما يقوم حياتها وبذلك هزل أدبها وذبل كيانها وغاض معينها وصوح زرعها ، ومع ذلك لم تشحذ من البقية الباقية أدباً استفزازياً أو سلاحاً انتقامياً ، بل تجملت بالصبر الجميل ، وتذرعت بأن للبلوى حيناً وأن لديجور ليلها انبلاجاً .

وإذا صح أن الشر يستشرى ويتكاثر ويتضاعف وتتفرع عنه فروع فإن هذا الأدب قد استشرى وتكاثر فأورث الأدب العربى والأدباء نوعاً من الثبور كانوا عنه جميعاً فى مأمن وغنى ، فلم يعد الرجل يكتفى بواحدة من النساء ولم يعد يفهم من المرأة إلا أنها سائمة . وهذه أمثلة توضح ما جاءت به هذه الحلقات من الأدب المفقودة فى أدب المرأة من وبال على المرأة :

وضع أبو الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب رسالة ضافية الذيل يصنف فيها النساء اصنافاً ، صنفاً يصلح للخدمة وصنفاً لاحتمال الأذى وصنفاً يموت عند الولادة وصنفاً يقرع بالعصا قرعاً ، وإلى غير ذلك مما اعتبر به المرأة حديقة حيوان يجب أن تدرس أوصافها على هذا السبيل المستغرب ، وانبرى ابن عبدون هذا فى كتابه رشيق العبارة سجاعاً كأنه يضع فصل الخطاب فى هذا الشتم المقذع حتى إذا انتهى حمد الله وأثنى عليه إذ وفقه إلى ذكر بعض خصائص النساء .

ومثل آخر ، فقد خرج دعبل ومعه أعرابى ونبطى إلى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة متنزهين فأكلوا وشربوا

فقال دعبل : نلنا لذيذ العيش فى بطياثا .
فقال الأعرابى : لما حثثنا قدحاً ثلاثا
فقال النبطى : وامرأتى طالقة ثلاثا

وهكذا بلغ من استهتاره أن أضاع امرأته لأجل قافية !

هذه نماذج من أحوال المجتمع لما تفشى فيه أدب ليس للمرأة فيه نصيب ، وهذه صور من الأدب الخطر الذى لم تأخذ المرأة بأسبابه فأضحى حلقات مفقودة فى أدبها ، وهو فى حد ذاته نقص يفوق كل تمام ، وهو البرهان الأكبر على أن للمرأة أدباً غير أدب الرجل وعلى أن أدبها للعقل .

منيرة الكيلانى

في المسألة الفلسطينية :

مشروع التقسيم

للأستاذ فؤاد طرزي

يقول الكولونيل (جولر) في كتابه الذي أصدره عن سوريا عام ١٩٤٥ بصدد فلسطين ما يأتي :

« ولو تحرينا الدقة لوجدنا أن اهتمام بريطانية بفلسطين لم يكن في يوم من الأيام ناشئاً عن رغبة في مساعدة اليهود أو تحقيقاً لرسالة المسيح ، بل كان نتيجة مباشرة للمناورات الاستعمارية التي ترمي على الدوام إلى خدمة المصالح البريطانية. ففلسطين تقع بين مصر والشام ، وهي على طريق الهند ، فمن المحال أن تغفل قدرها الحكومة البريطانية . وعلى هذا نخلق مشكلة تشيع الاضطراب فيها طريقة نموذجية لتبرير بقاء قوات مسلحة هناك تحافظ على مصالح الامبراطورية » .

وعلى ضوء هذا التفسير العملي الذي يعرضه خبير بريطاني مطلع ، يمكننا تقدير كل ما تضعه بريطانية من حلول لمشكلة فلسطين . فهي ترعى دوما مصالحها في هذه القضية وتنكر مصالح الطرفين المتنازعين بله المصلحة العالمية أيضا ، وتحاول بكل وسيلة أن تمد من أجل المشكلة وتطيل في عمرها لتحتج بها في بقاء قواتها العسكرية المرابطة هناك تحافظ على مناطق نفوذها في الشرق الأوسط بأسره .

ومشروع التقسيم الأخير الذي اقترحته الدوائر الرسمية البريطانية ، ولوحت به مجلة الأيكونمست اللندنية التي تعبر بصورة غير مباشرة عن آراء ١٠ داونتج ستريت ، والذي أيده السير هربرت موريسن أحد الوزراء البريطانيين المسئولين علنا في مجلس العموم ، نقول إن هذا المشروع ليس إلا شكلا جديدا من أشكال أنصاف الحلول التي اعتادت بريطانية أن تقترحها بين آونة وأخرى لتشغل القوم وتكسب الزمن .

وهذا المشروع هو نفس المشروع الذي اقترحه دولة نوري السعيد في الكتاب الأزرق الذي رفعه عام ١٩٤٣ إلى المستر كيسي وزير الدولة البريطانية في الشرق الأوسط . ويتضمن إنشاء حوزة[1] أو حوزات يهودية مع التمتع بحقوق خاصة — على نحو الحقوق التي كانت ممنوحة للموازنة في لبنان — داخل الدولة الفلسطينية، أو دولة عربية كبرى تشمل سوريا وشرق الأردن؛ ولكن السيد نوري السعيد ،كما جاء في مقترحاته ، لا يضمن نجاح فكرة التقسيم إلا إذا طبقت بعد ضم فلسطين إلى دولة عربية كبرى (يقصد سوريا الكبرى) ، لذلك نراه يقول في كتابه المذكور ما يلي بالنص : « ... فإنشاء دولتين أو أكثر مستقلة استقلالا تاما ومتكونة من أقاليم فلسطينية صغيرة يقتضى إنشاء حدود مصطنعة متعددة مع إحداث جيوب يهودية متعددة في الدولة العربية ، ومعنى ذلك إنشاء مجاز دولي واحد على الأقل ويحتمل إنشاء أكثر من مجاز واحد . أما إذا أدمجت فلسطين كلها في دولة سورية واحدة تكون حدود الحوزات اليهودية حدودا إدارية فقط ، وقد تتألف حينئذ المناطق اليهودية من عدة أقضية يتمتع فيها اليهود بحقوق خاصة ، أو أنه يمكن باتفاق يتم بين جميع الفرق تعيين منطقة مجتمعة معينة لليهود تدار إدارة شبه مستقلة . وعلى العرب القاطنين فيها والحالة هذه أن يرضوا بالبقاء تحت هذا الحكم أو أن توجد لهم أرض في مكان آخر » .

والحكومة البريطانية ، في الواقع ، تؤيد هذا المشروع وتضحى في سبيله إذا ما جد الأمر حتى بمصالح اليهود ، لأنها في هذه الدولة الكبرى تستطيع أن تجد لها ثغرة تنفذ منها لتوطيد مركزها في سوريا ولبنان وهما الدولتان اللتان تخلصتا إلى غير رجعة من النفوذ الأجنبي . فبريطانية التي حاولت جاهدة طرد الفرنسيين من الشرق الأدنى تتلهف أن تحل محلهم وتسيطر على جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط ، هذا البحر الذي تريده « بحرا انجليزيا » كما أراده موسوليني « بحيرة إيطالية » .

وهذا المشروع أيضا ، كغيره من المشاريع البريطانية ، يدركه الفساد من أوله إلى آخره وتعترضه سلسلة من العقبات التي لا يمكن التغلب عليها .

تخيل أيها القارئ، أن أمامك الآن خريطة جغرافية للبلاد

(١) جاء في الكتاب الأزرق أن الحوزة أرض أو منطقة تقرر ضمن دولة أو بلاد تخصص لكي شعب خاص فيها .

العربية ، ثم ضع يدك على بقعة صغيرة علمها فى القسم الجنوبى من الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط تحيط بها أراض شاسعة من الأراضى العربية المسلمة تبتدىء من مراكش مخترقة تونس وطرابلس ومنحدرة نحو البلاد العربية الأصلية ثم صاعدة إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق . وهذه البلاد التى طفت بها والتى تحيط البقعة الصغيرة التى تحت اصبعك تشكل مجموعة قوية من البلاد العربية التى يبلغ عدد سكانها حوالى الخمسين مليون نسمة . وعلى هذه البقعة الصغيرة التى تسمى (فلسطين) ، والمحاطة بالعرب من كل جوانبها ، يريدون إنشاء دويلة يهودية مستقلة استقلالا تاما أو استقلالا ذاتيا خارجة عن نطاق الامتداد الجغرافى الذى يحتويها ومنفصلة عن مجموعة البلدان العربية . فهل من المتوقع أن ينجح مشروع كهذا ؟

يقول البريطانيون نعم . ويقول الصهيونيون لا . فهم لا يرضون بهذا الحل المتواضع ولا يقبلون بشبه دولة ضيقة المساحة . وإن أهدافهم قد قرروها فى عدة مؤتمرات من مؤتمراتهم : ففى مؤتمر بلتيمور الذى انعقد فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ طالبوا بهجرة غير محدودة وبترك الحرية لهم فى التوسع داخل فلسطين إلى ما لا نهاية . وفى المؤتمر الصهيونى العالمى الذى انعقد فى لندن فى أيار عام ١٩٤٥ وضعوا قرارين رئيسيين : إنشاء دولة يهودية خالصة فى فلسطين ، وتخويل الوكالة اليهودية كل الصلاحيات الضرورية لجلب أكبر عدد ممكن من المهاجرين . وفى مؤتمر بازل الأخير طالبوا من جديد بكل هذا .

وإذا كان هناك من بين الصهيونيين من يوافق على مشروع التقسيم فإن الجميع يرومون الامتداد والتوسع لا على حساب فلسطين بل على حساب البلدان المجاورة أيضا ، ولا يمنع ذلك قرار تصدره الحكومة البريطانية تعين فيه حدود الدولة العربية وحدود الدولة اليهودية ، فقد سبق أن أصدرت عدة قرارات توجتها بألفاظ الشرف البريطانى والضمير البريطانى وختمتها بإقرار برلمانها ، ولكنها لم توف العهد فى أى قرار من تلك القرارات ، فكانت تصدر اليوم لتنقض غدا . وآخر قراراتها مشروع الكتاب الأبيض الذى أقره مجلس العموم عام ١٩٣٩ . كما أن الهدف الصهيونى أبعد من أن يرضى بشبه دولة صغيرة المساحة ، لأن الفلسفة الصهيونية ليست قائمة على أسس دينية أو إنسانية بل على دوافع استعمارية توسعية ، وهذا ما قرره جون هوب سمبسن الذى ترأس وفدا إلى فلسطين لرفع تقرير عنها حيث قال : « إن الحجة الإنسانية والحجة الدينية تفسدهما الحقيقة المؤسفة وهى أن الهجرة اليهودية اليوم لا تتألف من اليهود الذين يرغبون لأسباب دينية فى العودة إلى أرض صهيون ابتغاء إقامة حياة يهودية لا يشوبها الظلم والاضطهاد ، بل هى مؤلفة من أغلبية من اليهود بعيدة عن التعصب الدينى ومتحمسة بروح الوطنية السياسية ومصممة على تحقيق السيادة فى فلسطين أرض العرب منذ ١٣٠٠ سنة على الأقل » .

والعرب يقولون إن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، يترك فيها الحكم لليهود وحدهم ، منفصلة عن الاتحاد العربى لا يقبله عرب فلسطين ولا عرب الأقطار العربية ، كما أنه يناقض الوضع الجغرافى القائم ، وهذا ما قرره نخبة من أفاضل العلماء والجغرافيين ، فإن أعظم خبير بجغرافية فلسطين وهو السير جورج آدم سمث قد فطن إلى ذلك وشرحه فى مؤلفه المعروف « جغرافية الأراضى المقدسة التاريخية » . فهو يقول فى صفحة ٥٨ من كتابه : « لا يمكن أن تقوم فى فلسطين دولة مستقلة ومنفصلة عما يحيط بها ، فالحيوانات والنباتات فيها تمثل عصورا جيولوجية عديدة ، وهى تتصل بسلالات النبات والحيوان فى أراض كثيرة ، وأن الاتصال الجنسى والدينى والثقافى بينها وبين أجزاء البلاد العربية الأخرى سيسحق كل دولة تقام بالقوة وبالطرق الصناعية » .

وهذا ما يقوله السير جون كارستنك أستاذ علم الآثار القديمة فى جامعة ليفربول ومدير الآثار القديمة فى فلسطين فيما بعد : « لما دام أن ليس لفلسطين حدود خاصة من جوانبها الثلاثة فليس من الممكن أن تصبح مهدا لدولة مستقلة لا تتصل بالأمم التى تحيط بها ومقرا لعنصر أجنبى غريب » .

وإقامة دولة مستقلة فى فلسطين غير داخلة فى الجامعة العربية يجر إلى نتائج خطيرة يستطيع الباحث بقليل من التبصر أن يراها واضحة فى الأفق . فالجامعة العربية حركة طبيعية تسير بالبلاد العربية نحو التجمع لا التوزع ونحو الانضمام لا التفرق ، ومتى

نشيد فلسطين

للأديب حنا فارس مخول

لقد كانت فلسطين مهبط الوحي والإلهام منذ أقدم العصور . فيها وُلد أكثر قادة البشرية ، ومنها انبعث نور الهداية إلى سائر أنحاء العالم . ولعل جمالها واعتدالها هما اللذان مهدا لهذا الوحي واستنزلا ذلك الإلهام …

وفلسطين دون غيرها هي قبلة أنظار الطامعين ، والكعبة التي يقدسها أتباع الديانات السماوية الثلاث . وهي على كل حال بلاد عربية فوق كل اعتبار ، إنها عنق الجامعة العربية الذي ضيق عليه الخناق ، ولكنها مع كل هذا بدون باعث للنشاط ، وبدون محرك للهمم ، وحافز للعمل … إنها بدون نشيد !

أجل ليس لنا — والله — نشيد نردده فيذكي الحمية في نفوسنا ، وينفض عنها غبار الخوف ، وصدأ الخمول ، ويرسم لنا هدفاً معيناً تجاهها ، يلخص واجبنا تجاه الوطن والمواطنين … والإنسانية !

يقولون : إن نشيد « المارسيليز » هو الذي قهر أوروبا لا نابليون ، وأن النشيد الاسكتلندي هو الذي قضى على نابليون لا ولنجتون … ولكن أين منا النشيد الذي يشعرنا بأننا أمة تحيا وتستحق الحياة ؟!

إن شعراءنا — وهم كثر بحمد الله — قد قصروا همهم على الغزل والتشبيب والتغني « بيوم النصر » … يوم نصر أعدائنا ، وفشل قضيتنا !!

إن شعراءنا في واد ، ونحن في واد … ليس فيهم من حاول شيئاً من هذا سوى المرحوم ابراهيم طوقان … ونشيد طوقان على علاته هو خير نشيد لنا في الوقت الحاضر ، ولكن فيه مواقف ضعف تحول دون صلاحيته لأن يكون النشيد القوى المنشود ! إنه كان يناجي موطنه ويتمنى أن يراه في علاه يبلغ السماك ..

موطني
الجلال ، والجمال ، والسناء ، والبهاء في رباك

ما بلغت هذه الحركة غايتها ووجد في قلب الوطن العربي حاجز يقف دون اتمام مرحلة التطور كان عليها إما أن تقف ، وهذا لا يمكن أن يتصور ونحن أمام ظواهر طبيعية لا تعرف الأناة ، وإما أن تعبر هذا البرزخ الاصطناعي في صميم تكوينها الجغرافي فتحدث مأساة عنصرية جديدة من المآسي التي زخر بها التاريخ ، لأن الصهيونيين سوف لا يسلمون بالأمر الواقع ويندمجون في الشعب العربي بل سيقاومون ما يرى العرب أنه مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم

إن تقسيم فلسطين مشروع خائب ، وقد سبق السير رونالد ستورس الزمن وصرح بذلك أمام لجنة التحقيق الانكلوامير كية التي ألفت أخيراً ، والسير المذكور من أشد انصار الحركة الصهيونية وقد ظل حاكماً للقدس مدة اثنى عشر عاماً ، فإذا تكلم لمصلحة العرب فإن لكلامه قيمة .

قال : « إن كل حل يقسم فلسطين بين العرب واليهود لا يمكن أن ينشر لواء الأمن والسلام فوق ربوع الشرق الأوسط ، بل على العكس سيحكم عليه باضطرابات مستمرة لا تنقطع ، وسيؤدي إلى أعظم مأساة عرفتها تلك البلاد . إن فلسطين قد ساهمت مساهمة فعالة في حل مشكلة الحرب ضد السامية فقبلت ما يقارب الثلاثة أرباع المليون من المشردين في حين أن بريطانية وأميركا اللتين تحملان على عاتقها تدبير الملجأ لليهود لم تساهما مثل هذه المساهمة . إن المشكلة الفلسطينية يجب أن تعتبر منتهية ويجب أن يشترك العالم بأسره فيساهم في قبول البقية الباقية من المهاجرين . لقد أيدت الحركة الصهيونية طيلة حياتي ، وقد آن الأوان أن أقول إني لا أزال أؤيدها ولكن لا على حساب العرب . وإن الذي أقرره هنا هو ثمرة تجاربي الخاصة التي حصلت عليها في اثني عشر عاماً قضيتها حاكماً للقدس » .

إن فكرة التقسيم مشروع فاشل ، وإن الحل الوحيد للمشكلة هو أن توقف الهجرة في الحال وأن تمنح فلسطين استقلالها وتنضم إلى الجامعة العربية ويعيش اليهود فيها كما يعيش إخوانهم في البلاد العربية الأخرى كأقلية لها ما للأكثرية من حقوق وواجبات ، وبعد ذلك يشترك العرب جميعاً مع العالم في تحمل نصيبهم عند إيجاد حل لمشكلة الاضطهاد العنصري .

(بغداد) فؤاد طرزي

والحياة ، والنجاة ، والهناء ، والرجاء   فى هواك

هــــل   أراك

سالمـاً   منعماً   وغانمـاً   مكرماً

هل أراك . فى علاك . تبلغ السماك ؟

مـــــوطنى

ولـكن فى تغنيه شيئاً من التساؤل وضعف الأمل ... لقد أظهر حبه له ، ورسم خطوط هذا الحب بعبارات عاطفية وشعور فياض ، ولـكن ليس هذا دستوراً نعمل بمقتضاه ... إننا نريد الشاعر الذى يقول : سأراك . بل يجب أن أراك فى علاك تبلغ السماك ! لا : هل أراك ؟ ! إننا نريد الشاعر الذى يطمئن إلى عودة هذا الوطن الجريح إلى أبنائه ، بكل شبر فيه ... بصميمه ...

وقد حاول طوقان ذلك، فوعده بتناسى الأشخاص والأحزاب

مـــــوطنى

الشباب لن يكل   همه أن تستقل   أو يبيد

نستقى من الردى   ولن نكون للعدى   كالعبيد

لا   نريد

ذلنـــا المؤبدا   وعيشنا المنكدا

لا نريد . بل نعيد . مجدنا التليد

مـــــوطنى

الحسام والـــيراع   لا الـكلام والنزاع   رمزنا

مجدنا وعهـــدنا   وواجب إلى الوفا   يهزنا

عـــزنا

غاية   تشرف   وراية ترفرف

يا هناك . فى علاك . قاهراً عداك

مـــــوطنى

أجل إن طوقان وعده بتناسى الأشخاص والأحزاب ، والعمل فى سبيله حتى يستقل ، ولـكن ليس يكفى أن نستقل داخلياً ، فالنشيد القومى يجب أن يشعر المواطن بالطموح وواجب التقدم ، ويبشره بالمستقبل اللامع والمكانة المحترمة في قافلة الإنسانية

إذن لا نريد نشيداً يشعرنا بالعبودية — ولو فى معرض الإباء — ويروى لأبنائنا بعدنا قصة ذلنا — غير المؤبد — وعيشنا المنكد ... لا نريد نشيداً يصلح ليومنا ، ولا يصلح لغدنا !!

إننا بحاجة إلى نشيد يهز الأعطاف دون أن يدمى القلوب ، ويجرح العزة ... نريد نشيداً يتفجر قوة وحمية ... نريد نشيداً كمعلقة عمرو بن كلثوم أو قصيدة بشر بن عوانه ... نريد القوة لأننا فى عصر القوة !! ويجب أن نشعر بأننا أمة فوق الأمم ، أو فى طليعة الشعوب ، والماضى يشهد ، والحاضر يبشر ، ونور الشيوخ ، ونار الشباب يثبتان ويؤكدان !!

وقد كانت مصر شعرت بالحاجة إلى نشيد قوى ، فكانت مسابقة ، وكان نشيد ! ! وفلسطين هى النقطة الحساسة فى جسم البلاد العربية ... فهل نتوجه بندائنا إلى والد العرب الذى ولده ، إلى الجامعة العربية ، أم إلى الهيئة العربية العليا فى فلسطين؟ لعلهما تشعران بالمسئولية فتعملا على تحقيق هذه الأمنية ! !

* * *

وفلسطين فوق هذا لا علم لها ، وإن شئت تفصيلا فقل : ليس لسكانها الأصليين ، ليس لعربها علم ... لأن اليهود الطارئين — وهم قلة بحمد الله — لهم نشيدهم القوى « الهاتكفا » ، ولهم علم يرفعونه فى جميع المناسبات ... أما نحن فنزين دورنا ومحالنا التجارية وأنديتنا و ... بالأعلام العربيـة فى أعيادنا القومية .

ولا أقول بالعلم العربى — لأننا لم نتخذ حتى الآن علماً واحداً فى جميع أقطارنا ... إننا نرفع العلم المصرى أو العراقى أو اللبنانى أو السورى أو أى علم من أعلام الدول العربية ، ولنا الشرف فى ذلك لأن العرب فى القطر الواحد إخوان العرب فى القطر الثانى ، وأى علم عربى هو علمنا ... ولـكننا على كل حال وحدة تريد استقلالها . ووضعها الشاذ يستدعى حشد جميع بواعث الهمم لمجابهة الموقف الرهيب . فلماذا لا يكون لنا علم نرمز به إلى آمالنا وأهدافنا ، يرف فوق رءوسنا ، وبه — بعد الله — نعتصم ، والأقلية الطارئة علينا ، لها علم ؟!

أنـكون كالقرعاء التى تباهى بشعر ابنة أختها — على خشونة الشعر — ؟ لا — والله — بل يجب أن نتساوى مع العرب المستقلين فى جميع بلدانهم ، ولن نرضى أن نـكون عالة عليهم فـكفاهم من همومهم ما يثقل كواهلهم !

وإذن فلنتقدم إلى المسئولين بهذا الاقتراح، أو — إن شاءوا — فبهذا النداء ، راجين أن يحققوا آمال ما يزيد على المليون من عرب فلسطين ، والملايين من عرب العالم ولهم الشكر المقدم !

حنا فارس مخول

قادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

الشيخ شامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

١٢١٢ — ١٢٨٧ هـ : ١٧٩٧ — ١٨٧١ م

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

شامل تحت قيادة حمزة بك :

. وبعد أن استشهد الغازى محمد الكمراوى فى معركة يوم ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨هـ اجتمع العلماء والأعيان ، وأصحاب الشأن فى ولاية « آوار » وانتخبوا حمزة بك خلفاً للغازى محمد الكمراوى وقائداً لحركة الاصلاح الدينية ، وحاملاً لعلم الثورة الوطنية ، وسلك حمزة بك طريق سلفه من أخذ الناس باللين والهوادة ، ودعوتهم بالحسنى إلى اتباع أحكام الدين ، ورعاية آدابه ، فأخذ يطوف القرى والدساكر مرشداً ناصحاً ، يدعو إلى دين الله والعمل به ، ولكنه أيقن - كما أيقن سلفه من قبل - أن الدعوة التى لا تظاهرها القوة وتسندها ، حقيقة بالفشل ، فبدأ يجمع المتطوعين ، وينظم صفوفهم ، ويوجههم إلى المعاندين الذين كانوا يحولون بين الدعوة الاصلاحية وذيوعها ، وهنا أيضاً نجد شاملا يشد أزر حمزة بك ويعضده ، ويلازمه فى جميع حملاته التأديبية ، ومعاركه الحربية التى خاضها ، فإنه كما كان القائد المحنك ، والمريد المطيع لدى الغازى محمد الكمراوى ظل كذلك مع حمزة بك أيضاً حتى قتل هذا غيلة بينما كان ذاهباً لأداء فريضة الجمعة فى قرية « خنزاخ » فى أواخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

شامل فى قيادة الحركة الدينية الوطنية :

بعد اغتيال حمزة بك فى أواخر سنة ١٢٥٠ هـ اتجهت الأنظار إلى شامل ليقوم بقيادة الحركة التى بدأت من نحو خمس سنوات بقيادة الغازى محمد الكمراوى ، ولكن شاملا لم يكن بالرجل الطامع فى قيادة أو رياسة ، وحسبه أن يقوم بواجبه كيفما اتفق ، بل كان بوده أن يظل بعيداً عن مشاغل القيادة ومشاكل الرياسة ، وما يتصل بها من مطامع ومتاعب ، ولذلك ثار وغضب لما فوتح فى أمر اسناد الرياسة إليه ، ولكن إصرار العلماء والأعيان وأصحاب الشأن فى منطقة « آوار » مهد الحركة الثورية وإجماعهم على ضرورة قيامه بقيادة هذه الحركة — جعل شاملا يستجيب لصوت الواجب ، ورضى أن يتولى الامامة — كما كانوا يسمونها — بعد سلفيه الغازى محمد وحمزة بك .

إن تولى شامل قيادة الثورة الوطنية الدينية فى الداغستان كان نقطة التحول فى هذه الحركة ، فقد تبدل فيها كل شىء وتغير ، وانتشرت روح الحركة والنشاط فى كل اتجاه ، وظهرت نواحى العظمة والعبقرية فى هذا القائد الجديد سريعاً ، فدبت الحركة وظهر النشاط فى الثورة والثوار ، واشتعلت نار الحماسة فى صدور أولئك الجبليين من أهل القرى والأكواخ ، وتحولت الثورة التى سارت خمسة أعوام فى بطء وهوادة إلى حرب منظمة ، وقيادة محكمة وجنود مدربين ، وأنظمة مالية وقضائية كأحسن ما تكون الأنظمة المالية والقضائية فى البلاد ، وأنشأ الإدارة المدنية فى كل مدينة أو قرية وقعت تحت سلطانه .

كان كل شىء قبل تولى شامل الرياسة يسير على الفطرة والطبيعة الهادئة البدائية ، لا أثر للنظام والإحكام فيه ، كان واجباً على المتطوع أن يكفى نفسه ويمونها بما هى فى حاجة إليه من غذاء وكساء وسلاح ، فوق ما يصاب به فى نفسه وماله ، وما يلحقه من جراء اشتراكه فى الثورة من متاعب وخسائر .

ولم يكن لهؤلاء المتطوعين نظام يسيرون عليه ، وتدريب يعدهم للأعمال الحربية ، فكان كل واحد منهم يقوم بما يستطيعه تحت مسئوليته وعلى حسابه ، وعلى الوجه الذى يتراءى له

وكما لم يكن هناك — قبل رياسة شامل — نظام للمتطوعين وتدريبهم فإنه لم يكن عندهم ما يسمى بالإدارة المالية المنظمة لحركة الثورة ، فكل شىء كان يسير — كما قدمت — حسب الظروف ، وعلى أساليب فطرية أولية ، لا أثر فيها للدقة ، ولا للنظام والأحكام .

فلما تولى شامل قيادة الثورة أنشأ — أول ما أنشأ —

بيت المال على حسب نصوص الشريعة الإسلامية ، وعين لهذا البيت الجباة والأمناء والعاملين ، وجعل للمتطوع حقا معلوماً فى الغنائم ، فكان يخمس كل ما يصل إلى يده من أموال الأعداء ، فيضم خمسه إلى بيت المال ، ثم يقسم الأخماس الأربعة الباقية بين المجاهدين المحاربين ، وأحيا بذلك سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين فى قسمة الغنائم بين بيت المال والمجاهدين تطبيقاً لكتاب الله الكريم وعملا بما جاء به « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » (٤١ — ٨) .

فكون بذلك أساس النظام الاقتصادى ، وأمن الناحية المادية فى الثورة ، كما أغنى المجاهدين المتطوعين ، وسد حاجاتهم بما ينالونه من الغنائم ، ولم يكتف بذلك بل وجه نظره إلى نظام الجيوش وتدريب المتطوعين على نظم القتال والحروب ، كما عنى العناية البالغة بأمر أسلحة هؤلاء المتطوعين ، وعمل على إبلاغها إلى الحال التى تصلح للقتال بها مع جيوش الروسيين ذات العدد والعدد .

ومع أن هم شامل كله أو جله كان منصرفاً إلى الناحية الحربية وإعداد المحاربين ، وتهيئة كل الأسباب التى تمكنهم من القيام بواجبهم الوطنى على الوجه الأكمل ، فإنه مع ذلك لم يكن ليهمل النواحى الدينية والعمرانية ، فقد كان معنياً جداً بتوطيد نظام القضاء الشرعى فى تلك البلاد ، فكان يعين فى كل قرية يستولى عليها قاضياً شرعياً يفصل بين أهلها فيما يعرض لهم من أحكام دينهم ، ويقيم حدود الإسلام ، وينفذ أحكامه فيهم .

وليس هذا فقط ، فقد كان يوجه إلى الأقاليم والمناطق التى تخضع له « نواباً » عنه يقومون بالإدارة الدينية فى تلك الجهات ويشرفون على جميع شئونها . وكانت مهمة هؤلاء النواب فى أقاليمهم شبيهة بمهمة المحافظين والمديرين ، فكانوا مسئولين عن جباية أموال بيت المال ، وتنظيم حركة المتطوعين ، والمحافظة على السلام والأمن العام ، وحماية السلطة القضائية ، وتنفيذ أحكام القضاة ، وعلى العموم فقد كان هؤلاء « النواب » يقومون فى أقاليمهم بمهمة الحكام لهم ما للحكام من إشراف على مصالح الإقليم ورعاية حقوق الناس وصون أموالهم ونفوسهم ، وتنفيذ الأحكام التى يصدرها القضاة الشرعيون .

وإذا نحن تركنا الناحية الدينية من إنشاء بيت المال وتنظيم الإدارة وما إلى ذلك ، ووجهنا نظرنا إلى الناحية الحربية وأثر شامل فيها . وجدنا الفرق كبيراً والبون شاسعاً بين العهد الذى سبق شاملا والعهد الذى نشأ بعد تولى شامل للقيادة . فالثورة فى عهد الغازى محمد الكمراوى وحمزة بك كانت أشبه ما تكون بتلك الحركات السلبية التى تظهر فى كل بلد على أثر احتلال جديد من فاتح أجنبى ، تظهر هنا مرة ، وهناك مرة أخرى ، وتظهر فى آن لتختفى فى أحيان ولكن الحال فى عهد شامل من سنة ١٢٥٠ — ١٢٧٦ هـ (١٨٣٤ — ١٨٥٩ م) تغيرت تغيراً كبيراً ، فقد أصبحت الثورة حركة عامة شاملة ، وأصبح لها قيادة رسمية ومقر يصرف الأمور ، ويوجه الحركات ، ويتلقى الأنبــاء ، ومعتقلات لإيواء الأسرى ، وسجون لحبس الخارجين على أحكام الشريعة ، أو من صدرت ضدهم أحكام قضائية .

وأنشأ الشيخ شامل حكومة وطنية فى الداغستان . كانت فى كثير من الأوقات — مدى ربع قرن — تبسط سلطانها على أغلب البلاد الداغستانية ، وتنفذ فيها أحكام الشريعة الإسلامية .

وإن مما يبعث على العجب والإعجاب معاً أن يستطيع الشيخ شامل الصمود أمام قوات القيصرية الروسية خمسة وعشرين عاماً ونيفاً يناضل فى سبيل دينه ووطنه من غير أن يكون له سند يسنده ، أو معين يعينه غير إيمانه بالله ، وقوة عزيمته ، وصبره ومصابرته على المكاره والشدائد فى سبيل الله . وإذا كان فى هذا الصبر وذلك الصمود أمام قوات تلك الأمبراطورية العظيمة مدى ربع قرن ما يثير الإعجاب ويبعث على العجب ، فإن ما سجله التاريخ لهذا المجاهد البطل من انتصارات باهرة على كبار القواد الروسيين فى معارك مشهورة فاصلة — نعم إن تلك الانتصارات العجيبة تعيد إلى الذهن ذكرى فتوحات الغزاة المسلمين فى عصر ظهور الإسلام وانتشاره والصدر الأول من حياة المسلمين .

على أنه — رحمه الله وأحسن إليه — لما اضطر إلى التسليم آخر الأمر لم يرض أن يسلم نفسه إلا على شرط أن يسلم هو ومن معه

من قواده ومرافقيه إلى خليفة الإسلام والمسلمين في القسطنطينية .

ولا يتسع هذا المقال الوجيز الذي أكتبه بمناسبة ذكرى وفاته السادسة والسبعين لذكر كل ما ينبغي ذكره من أعمال هذا المجاهد المعظم ، ولذلك سأقتصر على بعض الخطوط والظلال التي تصوره بصورة إجمالية، وتعطي القارىء فكرة عامة عنه ، كما أذكر بعض الأعمال والحوادث الهامة التي وقعت في عهده ملتزماً في ذلك غاية الإيجاز :

١ — على أثر تولي شامل قيادة الثورة وقيامه ببعض الاصلاحات والتنظيمات أوعزت الحكومة الروسية إلى أحد صنائعها شمخال[1] غمزانش ، وكلفته الاتصال بشامل بقصد استمالته إلى جانب الروسيين ، وإغرائه وإطماعه في إمارة الجبل ، فاتصل الشمخال بالشيخ شامل ، وطلب منه أن يتوجه إلى مقر والي القوقاز في مدينة « تفليس » حتى يعينه هذا الوالي الروسي أميراً على بلاد الداغستان ، إلا أن الشيخ شامل كان يعتبر نفسه أميراً وإماماً لبلاد الداغستان بمبايعة الداغستانيين له وتوليتهم إياه بعد اغتيال المرحوم حمزة بك سنة ١٢٥٠ هـ ولذلك لم يعر هذا العرض التفاتاً وضرب به عرض الحائط . وفي سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) تكررت هذه المحاولة لاستمالة الشيخ شامل ، وإنهاء حال الثورة في بلاد الداغستان ، فقد اتصل القائد الروسي الجنرال « كلك » بالشيخ شامل وعرض عليه الذهاب إلى « تفليس » لمقابلة والي القوقاز ، وأكد له أن الوالي سيعينه أميراً على جميع المسلمين في الداغستان ، ورفض الشيخ شامل هذا العرض أيضاً لأنه كان يعد نفسه أميراً منتخباً من الأهلين بكامل حريتهم ، فلم يرض لنفسه أن يتلقى الإمارة من يد عدوه ومستعمر بلاده ، وعقد العزم على مواصلة القتال حتى يقضي الله أمره ، ثم تكررت هذه المحاولة سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) من جانب الروسيين ولكنها فشلت أيضاً .

٢ — في أوائل سنة ١٢٥٨ هـ انتصر الشيخ شامل على القائد الروسي الجنرال « كرف » انتصاراً باهراً . في معركة فاصلة حاسمة واضطر هذا القائد الروسي إلى الانسحاب العام ، ولجأ إلى قلعة « شورا » الشهيرة . وكان لهذا النصر وقعه الحسن بين إخوان شامل ومريديه ، فاقترحوا عليه أن يبعث وفداً من قبله لمقابلة خليفة المسلمين السلطان عبد المجيد خان في القسطنطينية ، وبعد إلحاح شديد نزل شامل على إرادة أعوانه ، وألف وفداً من ثلاثة أشخاص اختارهم لهذه السفارة بينه وبين الخليفة ، وحملهم عريضة كتبها باسمه واسم اخوانه المجاهدين الداغستانيين إلى مقام الخلافة العظمى . ولسنا ندري مضمون هذه العريضة ، والغاية المرجوة منها ، ولكنها على كل حال لا بد أن تكون عرضاً لأحوال المسلمين في الداغستان ، وربما كانت متضمنة طلب العون والمساعدة المادية أو الأدبية على الأقل من خليفة المسلمين .

وسافر هذا الوفد إلى بلاد الجركس في طريقه إلى القسطنطينية ثم جاوزها إلى بلاد « أبازه » على ساحل البحر الأسود ليركبوا من هناك أحد المراكب البحرية إلى عاصمة الخلافة . إلا أن أخبار هذا الوفد كانت قد سبقته ، فوجد العيون والأرصاد في كل مكان فلم يستطع أعضاؤه ركوب البحر لأن عيون الروسيين كانت ساهرة ، وأخيراً استطاع أحد الأعضاء « الشيخ الجركوي » أن يتسلل إلى أحد المراكب بدعوى أنه من الحجاج القاصدين إلى الديار الحجازية وحمل بين طيات ثيابه عريضة الشيخ شامل ، وأوصلها إلى رجال ديوان الخليفة غير أنه لقي مطلاً وإهمالاً غريباً ، ووعوداً كاذبة . وقضى نحبه بعد مرض يسير قبل أن ينال رد الخليفة على عريضة قائده وإمامه الشيخ شامل . وبذلك أسدل الستار على هذه الرواية

(يتبع)

برهان الدين الداغستاني

(1) لقب يطلق على بعض حكام الأقاليم والرؤساء هناك .

ليالي الحصاد

[إلى أستاذنا صاحب الرسالة الذي وصف الحصاد
فلم يدع فضلا لنثر ولا لشعر]

للأستاذ محمود الخفيف

طربت فأشرعت مزماريه أدير إلى الريف ألحانيه
أغنى بأيامه الضاحكات وليلاته الحلوة الساجيه

—

وإنى لأهفو إلى ذكره وأملأ قلبي من سحره
أعيش أوبقاتي الماضيات وأنهل لذاتها ثانيه

—

وإنى على البعد غِرِّيده يجدد لحنى ترديده
أغنى بما قر فى مسمعى أرجع أصداءه الغاليه

—

أرقرق فى اللحن ضوء القمر وسحر العشايا ونفح البُكر
وفيض المنى من ليالى الحصاد وروح الهناءة والعافيه

—

ليالى الرضا والصبا والوداد ورجع الهوى فى أغانى الحصاد
على الأرض منها غناء يروق وفى الجو أطيافها شاديه

—

هلم فما الليل ليل الرقاد ولا قامه قائم من سهاد
هلم نجدد عهود الهوى ونغنم صبابته الباقيه

—

هلم فقد طاب ليل الحقول ولذ السرى بين تلك السهول
وأطلق فيها نسيم العشاء أوائل أنفاسه الصافيه

—

دعانى فتى مستفيض الجذل تهلل فى مقلتيه الأمل
تريك إلى وجهه نظرةٌ دلائل عيشته الراضيه

—

تحدث عيناه عن حبه وما أودع الحب فى قلبه
وتحلو أحاديث أحلامه كما رقت النسمة الوانيه

—

مشينا ... يغنى وأصغى له فيطرح قلبي أثقاله
يغنى بحاضره المستهام وأذكر أيامى الماضيه

تحلق للسمر الحاصدون وصفق للزامر السامرون
وطافت بهم نفحات الشباب فلم تخل من مرح ناحيه

—

يردد يا ليل شادٍ هنا ويهتف ذو صبوة ها هنا
وهذى الطبيعة يقظانةٌ كأن لم تبت ليلة غافيه

—

طربت لصوت سرى من بعيد رخىٍّ الهتاف شجىٍّ النشيد
تهلل فى خاطرى لحنه وندى بشكواه أجفانيه

—

جليلة، هاتى شكاة هواك صفى كيف كان تجنى فتاك
غناؤك فى الليل حلو الصدى تطوف به النسمة الساريه

—

على القرب لحن ولحن بعيد وشاد تحدى وشاد يجيب
وتهتف زمارة ها هنا وأخرى تجاوبها شاديه

—

وكل فتى بات يشكو الهوى وبرح الضنى والنوى والجوى
أغانيهمو من مراح الشباب وأحلام أيامه اللاهيه

—

وكم صاح من طرب سامر يغنى له حاصد شاعر
وكم فصل اللحن إنشاده ورتل أرغوله القافيه

—

أطل على الأفق ملك السماء ندىٍّ المحفة كابى الضياء
على ذهب الحقل من تحته جرى ذوب فضته الكابيه

—

وقاموا صفوفاً إلى السنبل تندى وأحصد للمنجل
ولذ التسابق للحاصدين سيوف مناجلهم ماضيه

—

تجز المناجل سُوق الحصيد وفى الليل يسرى رنين الحديد
وخشخشة ها هنا وهنا تموَّج نائية دانيه

—

ومن كل صوب ورُكن غناء ورجع يروق بأقصى الفضاء
وقد رقرق الفجر أنفاسه ولاحت خيوط له قانيه

—

تورَّد فى الشرق لون الشفق وهل به النور ثم اندفق
وسالت على حُزم الحاصدين خيوط مذهبة جاريه

—

هنا وهناك يرى الحاصدون أطلت ذكاء وهم قائمون

تعقيبات

مسابقة في غير ميدان :

اختار المجمع اللغوي للمسابقة الأدبية التي يجريها للعام المقبل موضوعين : أحدهما «الحياة الأدبية في المدينة على عهد الأمويين» وثانيهما «كتابة بحث عن مهيار الديلمي» الشاعر المشهور .

والحياة الأدبية في المدينة موضوع أخلقه كثرة الكلام فيه والحديث عنه ، وفيه من البحوث القديمة والحديثة والدراسات المطولة والمدرسية شيء كثير جداً ، وكله ميسر للقارئين جداً ، ومهيار الديلمي شاعر كبير حقاً ، ولكن حدبه حظوة أن قامت دار الكتب بطبع ديوانه الضخم طبعاً فاخراً ، وقررت الوزارة دراسته في مدارسها وسار من أشعاره وأخباره كثير في ألسنة الناس

وإنما الشأن في مسابقة كالتي يجريها المجمع أن تكون في موضوعات يرود فيها الباحث مجاهل جديدة ويكشف فيها عن آثار لا تزال مطمورة ، وعندنا في الأدب العربي عصور مغلقة أمام الباحثين ولا تزال ثروتها الفكرية مدفونة وهي تنتظر الجهد لكشفها وإخراجها ، فمثلا الأدب المصري حتى في أزهى عصوره لا نعرف منه إلا شذرات طفيفة ، والأدب الأندلسي لا نقف فيه إلا على جملة أخبار محفوظة ، والأدب العربي في شمال إفريقية من عهد عقبة بن نافع إلى اليوم لا ندري فيه كثيراً ولا قليلا ، فكان الأجدر بالمجمع أن يجعل ميدان المسابقة في تلك الميادين التي يجدي فيها السباق على الأدب والبحث ، أما المسابقة في البحث عن مهيار وعن الحياة الأدبية في المدينة فإن من اللائق أن تكون مسابقة لتلاميذ المدارس إذ يرامي نحوهم تيسير البحث عليهم ...

فهل لرجال المجمع أن يعيدوا النظر في اختيار الموضوع ، وأن يراعوا في ذلك إيثار النواحي التي لا تزال مجهولة غامضة ...

هذه الألفاظ الأثرية :

في العدد الذي وصل أخيراً من مجلة « الغرى » التي تصدر في النجف مقال بعنوان « أسماء منتخبة لمعان مستحدثة » بقلم الشيخ أحمد رضا ، مهد له الشيخ بمقدمة قال فيها : « عهد إلى المجمع العلمي العربي وأنا من أعضائه الأقدمين بتأليف معجم لغوي يلائم روح العصر تنسيقاً وترتيباً ويكون جامعاً لمتن اللغة دون شروح أو تعاليل لأنها ليست من هم الطالب المجل الذي يطلب معنى الكلمة العربية كما سمعت من العرب ، وليس من همه أن يبحث عنها كيف استقرت على صيغتها المسموعة عنهم ، وإنما ذلك شأن الباحثين المتخصصين في فلسفة اللغة وتطورها فأنجزته والحمد لله حاوياً للمواد الواردة في أشهر كتب الأئمة ... ثم رأى المجمع أن أوجزه بكتاب مختصر يكون نجدة للناشئين المتأدبين ولا سيما الطلاب في المدارس ، فقصدت إلى ذلك وألحقت ما أتيت عليه بأسماء منتخبة لمسميات حديثة تراءت لي أثناء مراجعاتي اللغوية »

ثم أورد الشيخ بعضاً من هذه الأسماء التي انتخبها وهي «الدرمك» للدقيق المحوّر الأبيض المعروف بالفاخر ، و « الدغرى مصدر دغر » للحرب المفاجئة المعروفة بحرب الصاعقة ، و «المدغرة» للحرب المضنوض التي شعارها دغرى ، و «المربقة» للساندوتش ، و «الدلق» للروب يلبسه القضاة والمحامون ، و «النيم والنامة» للبيجامة ، و « الربيدة » للدوسيه ، و « التلاء » للجواز المؤقت ... إلى آخر الألفاظ التي أوردها الشيخ وكلها من هذا القبيل ...

وكل هذا عناء لا طائل تحته ، والواقع أن رجال اللغة عندنا يشقون على أنفسهم كثيراً ويتحملون كل هذا العناء استجابة

ورافت أهازيجهم في الصباح وطابت منى الرزق والعافيه

ألا كم سهرت بتلك الرحاب
وكم أسكرتني الليالي العذاب
وكم ذقت فيها كؤوس الهوى
على عفة صـنتها ، غاليه !

ليالي المنى والصبا والوداد
ورجع الهوى في أغاني الحصاد
على الأرض منها غناء يروق وفي الجو أطيافها شاديه

الخفيف

لفكرة متسلطة على أذهانهم وهى التدليل على أن اللغة العربية غنية بمادتها بحيث تكفى ألفاظها لكل معنى مستحدث وفى كل غرض جديد، فهم يرجعون إلى القواميس يلتقطون منها تلك الألفاظ الجفوة الميتة ويضعونها للمعانى الحديثة فى حياة الناس ، ومامثلهم فى ذلك إلا كمثل رجل ينزل إلى السوق إلى اليوم فيصر على أن يتعامل بالدراهم وبالدنانير التى ضربت على عهد الرشيد ، ويزعم للناس أن الدرهم لا يزال درهما ، والدينار لا يزال ديناراً !

فالأمر فى وضع الألفاظ اللغوية وانتخابها ليس مجرد إيجاد تلك الألفاظ فحسب ، بل إيجاد الألفاظ التى تصلح للحياة ، فيتفاهم بها الناس فى أحاديثهم ، ويتعامل بها الكتاب والشعراء فى ألفاظهم وتعابيرهم ، ومَن مِن الكتاب والشعراء يطيق ذوقه أن يستعمل الدرمك ، والدغرى والمدغرة والدلق والمربقة …

فلعل رجال اللغة يقدرون هذا ويصرفون إليه جهدهم ، وإلا فليوفروا على أنفسهم وعلى الناس العناء والشطط …

الشيوعية فى هوليود :

فى الأنباء الواردة من أمريكا أن اللجنة الفرعية التى تألفت من أعضاء مجلس النواب هناك للتحقيق فى الأعمال التى يقوم بها غير الأمريكيين اكتشفت « أن الشيوعية قد تأصلت جذورها فى هوليود وفى صناعة الأفلام . . »

وقد أدلى المسترجيمس مكدويل عضو اللجنة بأن الشيوعيين موجودون فى جميع فروع صناعة الأفلام ، فمنهم مهندسو المناظر ، ومنهم الفنانون ، ومنهم المصورون والمخرجون ، ومنهم الكتاب والمؤلفون ، وقد كشف التحقيق عن وجود حلقة من الشيوعيين تتسرب إلى داخل البلاد عن طريق المكسيك …

وهكذا أصبحت هوليود مدينة الحب والجمال ، والفن والمال وهى أيضاً مباءة للنزعات السياسية والاتجاهات الذهبية ، كأن السياسة الملونة تأبى إلا أن تعكر كل مورد ، وتستغل كل أسلوب للتأثير فى أذهان الناس .

ما أشبه استغلال الدعاية الشيوعية لهوليود بالمؤامرة التى صنعها الألمان فى الحرب العالمية الأولى فى مصانع الذخيرة للحلفاء ، ومحاولة حشو القذائف بالرمل ، إنه فى الواقع استغلال خطير ، لأن هوليود كما معروف تتسلط على العالم بفنها ، وبأفلامها ، وأن مما يؤلم أن يصير الفن أداة للسياسة ، وأن يصبح سلاحاً للدعايات الذهبية مهما كان لونها ، ومهما كان هدفها ، إنما الفن صوت الإنسانية الخالص من شوائب الأغراض ، فمتى يمضى الفن إلى هذه الغاية مترفعاً عن أوضار الدعاية ومآرب السياسة …

الشعر والغناء :

يشتغل المطرب المعروف محمد عبدالوهاب فى هذه الأيام بتلحين قصيدة « مضناك جفاه مرقده » للمغفور له أحمد شوقى بك ، وهذه القصيدة التى عارض بها أمير الشعراء قصيدة الحصرى المشهورة : « ياليل الصب متى غده . . »

وإن مما يدعو إلى الاغتباط أن يتجه كبار المطربين والمطربات عندنا إلى الغناء فى الشعر الرفيع ، واختيار القصائد الممتعة والمقطوعات الرائعة لتشنيف الأسماع وإشباع العواطف ، فقد كان الغناء عندنا يبتذل فى الكلام التافه الرخيص والتعابير العامية المكشوفة ، وكنا كلما شكونا من هذا وطالبنا أهل الطرب بالترفع عن هذا التخنث احتجوا بأن هذا هو الذى يطلبه الجمهور ويفهمه ويقبل عليه ، فلما غنى عبد الوهاب فى شعر شوقى ، وغنت « أم كلثوم » سلو قلبى . لم يطرب الجمهور ، بل لم يطرب العالم العربى أجمع مثل ماطرب لهما فى هذا ، حتى أصبح العامة يستظهرون هذه القصائد والمقطوعات ويرددون نغماتها فى غدوهم ورواحهم ، ولا شك أن لهذا أثره الطيب فى تقويم الألسن وتهذيب العواطف

حدثنى الشيخ محمد الخضرى رحمة الله عليه قال : لقد سمعت عبده الحمولى يغنى فى حشد يبلغ الألوف ، فرأيته يتلاعب بألبابهم ويهز عواطفهم ، ولكنه من الأسف كان يغنى فى كلام مبتذل ، فهجمت عليه فى عنف وقلت أيها الرجل : إن قيادة هذه الجماهير فى يدك ، وأنت تستطيع أن تسير بهم فى طريق الخير والتهذيب فلملك تفعل …

وهكذا يجب أن نفهم أن الغناء أسلوب من أساليب التهذيب وأنه فى هذا أداة ساحرة مؤثرة ، ولهذا يمنينا أن نسجل هذا الاتجاه الحميد الذى يتجه إليه المطربون عندنا بالغناء فى الشعر الجميل …

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

التربية ورفع المستوى الاجتماعي :

أقامت الجامعة الأمريكية في مساء الخميس حفلتها السنوية النهائية لتوزيع الأجازات العليا على الطلبة المنتهين في قاعة يورت التذكارية . وكان من مواد هذه الحفلة بحث قيم للدكتور جون س . بادو رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة في « التربية ورفع المستوى الاجتماعي » أبان فيها ما يسود العالم من القلق الاجتماعي، وما يشاهد في مصر من سوء الحالة المعيشية ، وذكر أن ما تبذله الحكومة من العناية لحل المشاكل الاجتماعية يجب أن تؤازره الطبقة المتعلمة التي تتخرج في المدرسة ، فيجب أن تعنى المدرسة بتلك المشاكل أجل العناية ، فتربى في تلاميذها الوعي الاجتماعي ليحفزهم إلى تحمل نصيبهم في دفع البؤس عن مواطنيهم ، وليكون هدفهم المساهمة في رفع مستوى المجتمع المصري إلى مستوى أعلى وأفق أوسع ، لأن هذا هو مقياس نجاح التربية لا جواز الامتحانات ونيل الشهادات . ومن واجب المدرسة أن تجعل المسئولية الاجتماعية من أهم ما تعنى به من التربية في مناهجها ، فيوجه المدرسون إليها عنايتهم ضمن ما يعنون به من المواد الدراسية ، وذكر كيف استطاع أحد أساتذة اللغة اليونانية أن يجعل من دراسة الآداب اليونانية القديمة حافزاً للاهتمام بمشاكل المجتمع وحاجياته ، لأنه كان يربط قصص الماضي وأساطيره بالوقت الحاضر ومشاكله .

ونقول إن هذا المثل الطيب ينفع احتذاؤه نفعاً كبيراً في دراسة الأدب العربي الحديث في مدارسنا عند البحث في سير رجاله وآثارهم في النهضة الحديثة وخاصة ما واجهوه من المشاكل التي لا تزال نواجهها أو نواجه أمثالها ، فنخرج بذلك عن النطاق المضروب حول « التاريخ الموجز لحياة الشخصية ، ومعرفة أسماء أهم آثارها ، ثم حفظ شيء من نظمها أو نثرها » .

ولا شك أن ذلك يبعث في الدراسة الأدبية الحركة والحياة ، إلى ما يؤتيه من الإلمام بالمسائل القومية ، وما يحققه من الوصول إلى هدف التربية في الوعي الاجتماعي .

توفيق الحكيم يرد الوسام الفرنسي :

ذكرت « أخبار اليوم » أن الأستاذ توفيق الحكيم أرسل إلى سفير فرنسا كتاباً يرد به إلى فرنسا وسامها « أوفيسيه دا كاديمي » الذي منحته إياه الجمهورية الفرنسية في أول مارس سنة ١٩٣٨ تقديراً للأدب ، لمناسبة ترجمة بعض كتبه إلى الفرنسية ؛ ونشرت نص هذا الكتاب ، وهو يتضمن أنه حمد لفرنسا ذلك التقدير ، ثم شاءت الأيام أن تفجعه في عاطفة الإعجاب التي يكنها لها ، فالأدب من أهم خصائصه « الحرية والإنسانية » ، ولم يكن يتوقع أن فرنسا تعتدي على الإنسانية إلى حد حبس الطعام عن أفواه جياع لا حول لهم ولا طول ... وكان حظ الحرية مماثلا ، فقد غضبت فرنسا لأن مصر تركت للأمير عبد الكريم حرية اختيار نزوله ومقامه ، وهو ليس بمذنب ولا مجرم ، إلى أن قال :

« فما معنى الأدب إذن في رأى فرنسا ... إذا لم يكن للحرية والإنسانية عندها من معنى ... » ؟

وقد أحسن الأستاذ الحكيم بذلك ، وكان فيه لبقاً واعياً ... فإنه لم يخسر إلا شيئاً تافهاً لا قيمة له ، إلى جانب ما كسبه من إرضاء شعوره ، فضلا عما يجره هذا الصنيع من جميل الذكر ، وما يحدثه من حسن الأثر !

ألا ليت « المتفرنسين » كلهم توفيق الحكيم !

الأدب المصري القديم :

نشرت مجلة « مسامرات الجيب » مقالا للعالم الأثري المعروف الأستاذ سليم بك حسن بعنوان « أدبنا المصري أقدم أدب في العالم » تضمن معلومات مهمة ، منها تصحيح لبعض القضايا الأدبية المشهورة ، مثل الدرامة التمثيلية التي تعزى نشأتها إلى بلاد اليونان ، وكذلك القصص الخرافي ؛ فينفي سليم بك أولية اليونان في ذينك الفنين ، ويقول بأن الأدب المصري القديم أول

أدب ظهرت فيه الدرامة التمثيلية والقصص الخرافي ، ويقول « كان المصري أول من قص القصص ، ومنه تعلم العالم القصص وفنونه فلا نكاد تقرأ في كتاب من الكتب الغربية قصصاً إلا وتجد أنه يرجع إلى أصل مصري قديم مع بعض التغيير والتبديل حسبما تقتضيه البيئة والأحوال ، ولا أدل على ذلك من أن بعض قصص ألف ليلة وليلة مصرية في عنصرها الأصلي . وقصة يوسف عليه السلام تجد مثيلتها في القصص المصري القديم وهي قصة الأخوين » .

فإذا كانت لنا تلك الأوليات في فنون القصص ، إلى أدبنا العربي وفنونه ، فقد جمعنا المجد من أطرافه .

شئ جديد :

لم أجد لهذا « الشيء » اسماً فيما نعرف من أنواع الأدب ، فهو ليس بنظم لأنه لا يخضع لوزن ، ولم يكتب كما يكتب النثر ، بل وضع في هيئة الشعر ، يشغل السطر منه فراغ بيت موزون ، ويتحد كل سطرين في قافية ، ويأخذ كل أربعة أسطر حيزاً محدوداً ، ليتكون من الجميع « رباعيات » فهو كلام مقاس مقفى ... فماذا يكون ؟

هو « رباعيات عمر الخيام بقلم توفيق مفرج » وقع في يدي هذا الأسبوع ، وكنت قرأت عنه في بعض الصحف الكبيرة ثناء وحمداً ، فجعلت أقرأ ما احتواه ، فإذا هو على النسق الذي قدمت صفته ، وهاك « الرباعية » الأولى :

« انهض ! فالصباح قد قذف بالشمس إلى الفضاء
فهرب الليـــلُ ، واختفت نجوم السماء
والشماعْ ، يتساقط كنصال السهـــام
فيصيبُ أعالي الحصون ، والجبال ، والآكام »

وقد استرعى نظري ضبط آخر كثير من الكلمات بالسكون كما في هذه السطور ، فلم هذا التسكين ؟ أهو لضرورة وزن يخضع لتفاعيل جديدة ؟

لقد قرأنا ترجمات لرباعيات الخيام نظمها السباعي ورامي والزهاوي وغيرهم ، نقلاً عربياً معقولاً ، فما هذا الذي صنعه صاحب (أحدث ترجمة !) لرباعيات الخيام ؟

عدت إلى صدر الكتاب فلمحت أربعة أبيات ... معذرة ! أربعة أسطر ، يهدي بها الكتاب ، ونصها :

« إلى التي علىء (كذا) البيت بالحب والهناء
إلى المرأة الفاضلة جنة الأرض والسماء
إلى زوجتي التي أوحت إلى الشعر والغناء
أقدم هذا الكتاب ميثاقاً للحب والوفاء »

إذن فالرجل يعد هذا شعراً ... ليس فحسب ، بل شعراً وغناء !

وعلى هذا النمط من « الشعر » ترجم رباعيات الخيام . ولا شك أن له أن يفعل ، تمتعاً بحق « الحرية الشخصية » ولكن الذي لا يجوز السكوت عليه هو تورط كبريات الصحف في المجاملات على حساب الأدب ، إلا أن يكون الزملاء يكتبون عن الكتب من بعيد دون تجشم قراءتها ومعرفة أي شيء هي ...

قروي فنان :

هو عبد الغفار دراج من قرية « جاجون » بمركز دسوق ، قال محرر جريدة « النداء » إنه سمع به ورأى له صوراً بارعة ، فقام برحلة إلى قريته (جاجون) والتقى به هناك في (الجرن) وأراد المحرر أن يتحقق صدق ما بلغه عن فن عبد الغفار فدفع إليه صورة جلالة الملك وطلب منه أن ينقلها أمامه ، فجلس عبد الغفار إلى « طبلية » وبدأ العمل ... ورسم صورة الملك كما رسم غيرها رسماً جيداً ؛ وقد رأينا مجموعة من تصويره منشورة بالنداء ، منها صورة جميلة لقروي شيخ جلس القرفصاء يدخن في (الجوزة) وأمامه إبريق الشاي على موقد وبجواره جرة ودجاج وباقي أمتعة بيته ، وقد بدا الهدوء والدعة على وجه الشيخ العائد من حقله ليستمتع بالراحة في بيته ويرسل متاعبه مع دخان النرجيلة إلى الفضاء

وعبد الغفار لا يقرأ ولا يكتب ، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد هوى الرسم من صغره ، وبدأ بمحاكاة صور المجلات التي كانت تقع في يده ، ثم أخذ يرسم القرويين من أبناء بلده ويبيع لهم الصورة بقرش .

وقد رأى صاحب « النداء » أن يضمه إلى قسم التصوير بالجريدة ... وهكذا يبدأ « الأستاذ عبد الغفار دراج » مرحلة جديدة من حياته ، فيصبح فناناً صحفياً ... يقوم دليلاً حياً على ما في ريف مصر من مواهب إلى ما فيه من خيرات

النجوى الموسيقية :

النجوى تعريب كلمة (سرناد) ومعناها موسيقى المساء ، والأصل فى هذه الموسيقى أن تكون تأليفا غنائيا غزليا يغنى أو يعزف ليلا تحت نافذة المحبوب أو فى الخلاء القريب من مكان المحبوب .

وقد تحدث عن هذا النوع من الموسيقى الأستاذ عبد الحميد توفيق زكى المشرف على البرامج الموسيقية فى الإذاعة المدرسية ، فذكر أن النجوى دخلت الموسيقى المصرية على ثلاثة أطوار : الطور الأول تلك الأغانى المصرية الحديثة التى منها الجزء الأول من أغنية « عند ما يأتى المساء » للأستاذ محمد عبد الوهاب ، والطور الثانى يتمثل فيما قامت به الجمعية المصرية لهواة الموسيقى من ترجمة بعض المؤلفات الموسيقية العالمية لإدخال أنواع جديدة فى التآليف الموسيقية المصرية ، ومنها النجوى التى مطلعها : « يا ليالى كم بنادى عاشق أسير » . أما الطور الثالث فهو محاولة تلحين أغان خفيفة مصرية ذات طابع شرقى ، ومع ذلك تؤلف على القواعد الموسيقية العالمية ، وقد نجح فى هذه المحاولة اتحاد الموسيقيين الجامعيين .

ثم قدم الأستاذ مغنيا قال إنه سيصاحب بالغناء قطعة من النوع الأخير عنوانها «ذكريات» إذا أصغى إليها المستمع ، بغض النظر عن مصاحبة الغناء لها ، أحس المعنى الذى تعبر عنه . ثم عزفت الموسيقى ، وغنى المغنى ، ولكنا لم نستطع أن نغض السمع عن الغناء ، لنعيش لحظة فى جو الذكريات ، لأن المغنى كان صاخبا كالحاضر ، فجعلنا نتطلع إلى المستقبل الذى يعقب انتهاءه .

أفلام ثقافية عربية :

كانت إحدى شركات السينما العربية قد اتصلت بإدارة الثقافة بالجامعة العربية ، بغية الظفر بتأييد الجامعة الأدبى فيما يتعلق بالأفلام الثقافية العربية المؤلفة والمعربة ، مما سوف تخرجه تلك الشركة .

وقد عرض ذلك الطلب على المكتب الدائم للجنة الثقافية بجلسته الأخيرة ، فوافق على توصية الدول العربية الأعضاء بتيسير عرض ما عسى أن تنتجه تلك الشركة من أفلام ، على شريطة أن تعرض الشركة ما تريد تشجيعه من الأفلام عرضا مفصلا على الإدارة الثقافية ، لتتولى عرض مايصلها من الشركة على المكتب الدائم لاتخاذ ما يراه بشأنها .

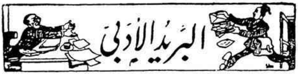
مطبوعات الدول العربية :

كانت وزارة المعارف العراقية قد اتصلت بالأمانة العامة للجامعة العربية، بشأن طلب بعض الأشخاص والهيئات الحصول على المطبوعات الرسمية التى تصدرها حكومات الدول العربية الأعضاء كالإحصاءات والنشرات ، وكثير من هؤلاء الطالبين قد يكونون غير معروفين لديها حتى تجيب طلبهم .

وقد عرض هذا الموضوع على المكتب الدائم للجنة الثقافية فاستقر الرأى على وجوب استفسار الوزارة التى يطلب منها مثل هذه المطبوعات ، عن مكانة الطالب ، من مفوضية البلد الذى ينتمى إليه .

وقرر المكتب أيضا أن توصى الأمانة العامة وزارات معارف الدول الأعضاء ، بتبادل الكتب والمطبوعات الرسمية الخاصة بالإحصاء والتعداد وما إلى ذلك ، فيما بينها .

« العباس »



في اللغة ، تذكير مؤنث :

عمل حضرة صاحبة الجلالة (فوزية) وصاحبات السمو والنبل وسائر ذلك القبيل الكريم في (مبرة محمد على الكبير) ونظائرها — هو عمل رجال بل عمل أبطال ؛ فقول جرائد ومجلات (فلانة عضوة في المبرة ، وهن عضوات فيها) — شيء نكر ، وإزعاج عظيم لأرواح الراقدين في (الجزيرة) من العرب الخلص في الجاهلية والاسلام ، فما أنث العضو في وقت من الأوقات أحد . وأبشع من تأنيث هذا الفرد تأنيث مجموعه . فاستعذ بالله من كلامهم وقل — إما شئت أن تقول — : فلانة عضو في المبرة وهن أعضاء فيها . وقس على هذا العمل أشكاله ، وصف أهله بأوصاف الرجال ، فقل : محامي فلان فلانة ، ولا تقل : محامية ، وفلان طبيب فلان أو طبيب دار الشفاء[1] وفلانة أستاذ تلك المدرسة أو الكلية أو الجامعة ، وإذا حكم القضاء أن يجئن إلى القضاء بعد حين طويل (طوله الله) أو قصير (لا سمح الله) فقل : فلانة هي القاضي في دار القضاء ، وكانت فلانة هي القاضي في تلك الدعوى . وإياك وأن تقول : كانت القاضية ... وفي دار الندوة أو مجلس النواب يوم مجيء ذاك الأجل — وتراه بعيدا وأراه لبرينه قريبا — هي نائب بين النواب لا نائبة ، والنائبة في الكتاب والحديث — مصيبة ...

فإذا لغوت (أي تكلمت) بمثل ذلك وسطرت أحسنت ولم تسيء ، وسلكت سبيل أهل التحقيق . قال الإمام صاحب (المخصص) :

« ومما وصفوا به الأنثى ولم يدخلوا فيها علامة التأنيث وذلك لغلبته على المذكر — قولهم : أمير بني فلان امرأة ، وفلانة وصي بني فلان ، ووكيل فلان . وكذلك يقولون : مؤذن بني فلان امرأة ، وفلانة شاهد بني فلان . ولو أفردت لجاز أن تقول : أميرة ووكيلة ووصية ، وأنشد قول الشاعر :

فليت أميرنا وعزلت عنا مخضبة أناملها ، كعاب

وربما أدخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا فلانة أميرة بني فلان ، وكذلك وكيلة ووصية . وسمع من العرب وكيلات ، وهذا يدل على وكيلة ، قال عبد الله بن همام السلولي :

فلو جاءوا ببرّة أو بهند لبايعنا أميرة مؤمنينا

وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ما حكاه أبو زيد من قولهم عديلات » .

فدع الجائز (ولو أفردت لجاز) ودع القليل (وربما أدخلوا الهاء) وذكّر ، ذكر في كل حال ، ولا تؤنث ، وأرض الجماعة بما لا يغضب اللغة .

أعط — يا أخا العرب — ما أعطت العربية ، وامنع ما منعت فإذا أنت عادل حق عادل في أحكامك وكلامك ...

السهمي

أمانة النقل :

كنت أقرأ في كتاب (عثمان بن عفان) الذي أصدره في هذه الأيام الأستاذ صادق ابراهيم عرجون المدرس في الأزهر الفصل الذي عقده لتحقيق مقتل عمر ، فأجد كلاماً أحس أن فيه رائحة من كتابي ، ولا أجد الدليل عليه ، حتى إذا بلغت آخر الفصل ألفيته يقول : «وقال الأستاذان الفاضلان مؤلفا كتاب سيرة عمر» ويسرد ما يملأ صفحة من كلامي . فتألمت لا لأنه أخذ من كتابي ولم يعز إلي[1] فقد غصب كثيرون من هذا الكتاب ، وجعلوه نهباً مقسما وحمى مستباحاً ، وفيهم من يعد من كبار المؤلفين ، ولا لأن اسم كتابي ليس (سيرة عمر) ولا يعرف أحد من القراء من هما (الأستاذان الفاضلان) مؤلفاه . بل لأني رأيت أن أمانة النقل قد فقدت حتى من الأزهر . وقد كنا نعده دارها ومستقرها ، ونرى أهله أهلها ، يحرصون عليها ، ويعرفون لها قدرها ، هذا والكتاب مع ذلك كتاب جيد جداً في بحثه وأسلوبه . أشهدها شهادة لله وللعلم .

علي الطنطاوي

(١) في (صبح الأعشى) : « وفيها أي دلي — بتشديد اللام — (أو دهلي) » ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية . وبها نحو سبعين بيمارستانا وتسمى بها دور الشفاء » (قلت) هذه التسمية الهندية : دار الشفاء خير من البيمارستان أو المارستان كما كنا نقول من قبل وخير عندي من المستشفى كما يقولون في هذا الزمان .

(١) ولم يسم ، ولم يذكر الكتاب في ثبت المصادر ...

الهزج والوافر :

اطلعت على ما علقت به (الرسالة) فى هامش البريد الأدبى على كلمة الأستاذ نظام مدنى فى العدد (٧٢٧) فى صدد بيت الأستاذ الشاعر مختار الوكيل وهو قوله :

أنى قد شاء رب الكو ن أن يجمع قلبانا

وتقول (الرسالة) إن « مطلع القصيدة من بحر الهزج بدليل الكف وهو حذف السابع الساكن فى التفعيلة الثالثة . ولم نر فيما قرأنا من الشعر الصحيح النقص فى مفاعلتن وهو اجتماع العصب والكف : أى تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن ».

هذا ما عقبت به الرسالة ، ولتقرير الحقيقة نقول :

صحيح أن الوافر لايدخله الكف وهو حذف السابع (المتحرك) إلا أن الوافر نفسه يدخله من الزحاف المركب (النقص) وهو اجتماع العصب والكف أى إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن ، ثم إن النقص لا يدخل إلا على الوافر فقط كما نص على ذلك العروضيون .

فبيت الأستاذ الشاعر صحيح ، وتعقيب الأستاذ المعقب أيضاً صحيح ، وغاية ما فى الأمر أن استعمال الزحاف المركب — على صحته — قبيح للشعراء المحدثين . والسلام ...

(الزيتون) عدنان أسعد

(الرسالة) لا زلنا نقول إن الكف وهو حذف السابع (الساكن) إنما يدخل مفاعيلن فى الهزج ولا يدخل مفاعلتن فى الوافر . وإذا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء سماعاً . وإذن يكون الفارق بين مجزوء الوافر وبحر الهزج هو حذف النون من مفاعيلن أو تحريك اللام فى مفاعلتن ؛ فحيثما وجدت النون محذوفة فهو الهزج ؛ وحيثما وجدت اللام متحركة فهو الوافر ... وإذا اتفق فى القصيدة كلها أن دخل مفاعلتن العصب فسكنت اللام ولم يدخل مفاعيلن الكف فبقيت النون حملت على الهزج ، لأن هذا الوزن أصيل فيه . والشعراء المحدثون يخلطون بين البحرين فيجمعون بين مفاعيلن المحذوفة النون وبين مفاعلتن المفتوحة اللام

حول خطأ عروضى شائع :

ذكر الأستاذ خليل ابراهيم الخطيب فى العدد ٧٢٥ أن قصيدة الأستاذ مختار الوكيل التى مطلعها :

أنى قد شاء رب الكون أن يُجَمِّعَ قلبانا

مزيج من الهزج والوافر ، وقد بين الأستاذ نظام مدنى فى العدد ٧٢٧ أنها من مجزوء الوافر ولكن الرسالة علقت على هذا القول بأنها لم تر فى صحيح الشعر دخول النقص على الوافر ، ولكنى وجدت فى قصيدة جزيرة العشاق من ديوان الشوق العائد للأستاذ على محمود طه هذين البيتين :

ليالى الصيف فى كَبْرى أم الفتنة فى البحر

تنفَّسَ جوه عطراً يفضضه سنا البدر

فإما أن يجوز دخول النقص على الوافر وإما أن تصبح قصيدة الأستاذ على محمود طه هى الأخرى مزيجاً من الهزج والوافر وللرسالة جزيل الشكر .

محمد الأنور الحلبى .

(الرسالة) البيت الأول من الهزج قطعاً لحذف السابع الساكن من التفعيلة الثالثة ، والبيت الثانى من مجزوء الوافر قطعاً لتحرك الحرف الخامس فى التفعيلة الأولى والثالثة .

حجرة التحمس :

سيدى صاحب — من وراء المنظار —

... ما إن قرأت مقالتكم (حجرة التحمس) وأنا مضطجع فوق حشيتى المتواضعة بقاع الريف ساعة القيلولة حتى انتفضت واقفاً وأمسكت بقلمى لا لأشكرك على تصوير الواقع من حياتنا المقلوبة الأوضاع فى شتى مظاهرها فأنت فى غنى عن شكر أمثالى الذين تحصرهم القرية بحدودها الضيقة فى كل مجال ! وإنما لأقول لك يا سيدى الفضال إن هؤلاء هم الموظفون الذين تشفق عليهم الدولة وترثى لحالهم فتغدق عليهم العلاوات والدرجات وتبتكر القوانين التى تقرب إليهم آمالهم ورغباتهم — أما المعلم الأولى الذى يسوس الأطفال الصغار (عفاريت الإنس) فى نهاره ، ويقود الكبار فى مكافحة أميتهم فى ليله ! هذا المعلم الذى يضع بيده الحجر الأول فى تربية الأمة وتنشئة أجيالها القادمة تقف له الدولة بالرصاد فتحرمه من كل ما تبذله لهؤلاء الموظفين وأمثالهم صغاراً وكباراً ! !

ترى متى يعرف لصاحب الفضل فضله ، ويعطى لكل ذى حق حقه ، على أسس المساواة والعدالة بين الجميع ؟ !

(دميرة) خورشيد عبد العزيز



ماء الحيـــاة . . !

[مترجمة عن الإنجليزية من كتاب
[Grimm's Fairy Tales

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

في قديم الزمان عاش ملك أضناه المرض حتى يئس من الحياة ، وكان له أولاد ثلاثة ، خرجوا إلى حديقة القصر ، وطفقوا يجهشون بالبكاء ، حزناً عليه . وبينما هم كذلك ، جاءهم شيخ وقور ، بلغ من العمر عتياً ، وسألهم عن سبب كآبتهم ، فأعلموه أن والدهم مشرف على الموت ، وما من حيلة تنفع في شفائه . فقال الشيخ : « لكم في شفائه ، طريقة واحدة فقط ، وهي أن تسقوه من ماء الحياة » .

ذهب الولد الأكبر إلى والده الملك ، وطلب إليه أن يأذن له بالبحث عن ماء الحياة ، إذ هو المنقذ الوحيد من دائه العضال. فقال الأب : « لا بد لك يا بني من تجشم الصعاب والأخطار في سبيل الحصول عليه ؛ فأرح نفسك من هذا العناء » . ولكن الابن ظل يلح عليه حتى أذن له . فذهب في طريقه ، وهو يقول في ضميره : « إن أحضرت الماء ، فسأكون حتماً أعز إخوتي لدى والدي ، وسيوصي لي بالملكة من بعده » . وظل يهيم على وجهه ، حتى التقى به قزم وسأله : « إلى أين أنت ذاهب يا أخي ؟ » . فأجابه الأمير بلهجة تنم عما في نفسه من الكبرياء : « هذا لا يعنيك !! » وتابع سيره . ولكن دبيب الانتقام دب في صدر القزم . وبينما كان الأمير يجوس خلال ممر ضيق ، لاحظ أنه كلما تقدم في الممر أخذ الممر يضيق به أكثر فأكثر ، حتى انتهى إلى نقطة لم يستطع فيها الحراك ... وانتظره والده طويلا ولم يرجع . وطلب

الزعيم « شكوكو » : [مهداة إلى أستاذنا المتنبي]

إن المتجول في أحياء القاهرة يرى باعة يحملون تماثيل للمغني الشعبي الهزلي « شكوكو » فكأن الشعب المصري يريد أن يقول بلسان الحال : إن زعماءنا خطبوا طويلا فنسي الشعب ما قالوا ، وغنيت أنت فحفظ الناس ما قلت وصنعوا لك التماثيل .

غن . وأسمعه أنغام الحرية ليصنع تماثيله للشهداء .

وردد على أسماعه ألحان الاتحاد ليؤلف بين الزعماء .

وابعث فيه سحر سلطانه ليفخر بأنه سيد الملوك والرؤساء

وهزه بأنين أحزانه ليتحرر من هذا البؤس وهذا الشقاء .

وإني أقسم لئن فعلت لتكونن أخطر على انجلترا وعلى أوضاعنا المقلوبة من ألف زعيم . لقد أكرمك الشعب يا صاحب التماثيل ، فهل أنت ممن يعرفون الجميل؟ فتحي السماك محمد

إلى مؤلفي الكتب المدرسية :

لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الأول بلبنان في ٢ سبتمبر القادم للبحث في توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها في نواحي اللغة العربية والمواد الاجتماعية في مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولي والابتدائي والمتوسط والثانوي . يسر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن تدعو حضرات المؤلفين ودور النشر والمكتبات في جميع الأقطار العربية إلى الاشتراك في هذا المعرض ، بأن يرسلوا إليها :

أولا — نسختين من الكتب المؤلفة في اللغة العربية بفروعها المختلفة لمراحل التعليم المتقدمة الذكر بما في ذلك الكتب المختصة بتيسير الكتابة والنحو والبلاغة وغيرها .

ثانياً — نسختين من الكتب الموضوعة في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية في هذه المراحل التعليمية .

ثالثاً — الوسائل العلمية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ووسائل الايضاح لمادتي التاريخ والجغرافيا كالمصورات والخرائط والمجسمات والأجهزة التي من صنع الأفراد ودور النشر والشركات .

وترجو إدارة الثقافة أن يصل إليها ذلك قبل منتصف شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧ وأن يرسل باسم مدير الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة .

وسترد المعروضات لأصحابها بعد انتهاء المؤتمر عن طريق الادارة الثقافية ، إلا إذا شاء المؤلف إهداء النسختين أو إحداهما لادارة الثقافة بالجامعة العربية لحفظهما لديها تسجيلا لحركة التأليف المدرسي في هذه المواد ، ورغبة في التعريف بها ، وإشاعة الانتفاع منها في أوسع نطاق .

الأمير الثاني من والده أن يأذن له في البحث عن الماء ، إذ قال في نفسه : « إن يكن أخي قد مات ، فسأرث المملكة بدلاً منه » . وظل يستعطف والده حتى أذن له في الذهاب . فسار هذا في أثر أخيه ، والتقى بالقزم نفسه . فابتدره القزم بالسؤال : « إلى أين أنت متوجه أيها الشاب ؟ » . فأجابه الأمير : « ليس من شأنك أن تعرف هذا أيها القزم الحقير ! » . ومضى في طريقه . فاستعمل السحر معه ، وكانت عاقبته وخيمة كعاقبة أخيه من قبله ، إذ وصل إلى أخدود ، أراد أن يتقدم فيه فلم تطاوعه قدماه .

ولما لم يرجع الولد الثاني ، اضطرب فكر والده عليه . فتوسل الأمير الصغير إلى والده أن يسمح له بالذهاب ؛ فرأى الوالد نفسه مضطراً على إجابة طلبه . وعندما التقى القزم بالأمير الصغير ، وسأله عن طريقه ، أجاب : « إنني أبحث عن ماء الحياة ، إذ به وحده يستطيع والدي أن ينقه من علته » . فقال له القزم : « وهل تعرف مكان وجوده ؟ » فأجاب الأمير : « كلا ! » . فقال القزم : « إذاً سأدلك عليه لأنك سلكت معي سلوكا لائقاً ، مغايراً لسلوك أخويك المتعجرفين . إن ماء الحياة يتفجر من النبع الذي يجرى في ساحة القلعة المسحورة ، تلك القلعة التي لن تستطيع اختراقها ، إن لم أعطك قضيباً من الحديد ، ورغيفين من الخبز . أما القضيب ، فاطرق به ثلاثاً على باب القلعة الحديدي فيفتح لك . وفي المدخل سترى أسدين فاغرين شدقيهما تستطيع أن تأمن شرهما ، بأن ترمي لكل منهما رغيفاً . ثم أسرع وأحضر قليلا من الماء قبل أن تعلن إشارة الوقت الساعة الثانية عشرة . إياك أن تتأخر ! لأنك إن فعلت فسيوصد الباب ولا تستطيع الخروج ! » .

فشكره الأمير ، وأخذ منه القضيب والرغيفين ، وجعل يطوي الأرض حتى حطت به النوى إلى القلعة المسحورة ؛ فعمل بموجب إشارة القزم . ودخل من الباب إلى قاعة جميلة واسعة ، حيث كان يجلس عدد من الأمراء المسحورين ؛ فنزع الخواتم التي تحلى أصابعهم ؛ وأخذ سيفاً مرهف الحد ، وقليلاً من الخبز المطروح هنالك . ثم دلف إلى الغرفة المجاورة ؛ وإذا به أمام فتاة فاتنة تتموج كالطيف ، نظرت إليه من وراء جفون ترتعش بالليل والانعطاف ؛ ثم أخبرته أن مملكتها ستؤول إليه ؛ وإذا ما رجع إليها بعد سنة كاملة ، فسيزف إليها ويعيش معها سعيداً موفوراً .

ثم دلته على موقع النبع الذي يجرى منه ماء الحياة . ورأى في الغرفة المجاورة سريراً مريحاً استلقى عليه لأنه كان متعباً ؛ واستسلم لنوم هادىء عميق . ولكنه استفاق على صوت الساعة ، عند ما أعلنت الثانية عشرة إلا الربع ؛ فأسرع إلى النبع ، وملأ كوباً صغيراً كان موجوداً هناك بالماء . ثم أسرع الخطو إلى الباب ؛ وما كادت رجله تطأ العتبة ، حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة تماماً ؛ فأوصد الباب بقوة عظيمة جداً ، أطارت قطعة من كعب حذائه وهو خارج .

وبالرغم من كل هذا ، فقد كان مسروراً لنيله أمنيته . فعاد أدراجه إلى القصر ، والتقى في الطريق بصاحبنا القزم . غير أنه لم يكن راضياً عن الرجوع إلى القصر دون أخويه ؛ ولذا سأل القزم أن يدله عليهما . فأجابه قائلا : « إن أخويك محصوران بين جبلين عقاباً لهما على كبريائهما ؛ أولم تسمع أن عاقبة الكبرياء وخيمة ؟! » فألح الأمير على القزم بتلبية طلبه حتى فعل ذلك ؛ إلا أنه حذر الأمير من أخويه ، إذ يضمران له السوء ولا يقيمان للأخوة وزناً .

وعندما رجع إليه أخواه ، أخذ السرور يتموج على قسمات وجهه ؛ فقص عليهما تفصيل ما حدث . وركب كل من الأمراء الثلاثة جواده ، حتى وصلوا إلى مملكة كبيرة ، أضنى الجوع والحرب السواد الأعظم من سكانها ، وأيقن ملكها أن لا مهرب له من الاغتيال . فذهب الأمير الصغير إلى هذا الملك ومد إليه يد المعونة فاستطاع الملك أن يسد جوع السكان ، وأن يرد الأعداء على أعقابهم خائبين . وبعد أن تم له ذلك أخذ الأمير السيف وما بقي من الخبز وركب مع أخويه حتى وصلوا إلى مملكتين أخريين ، فعل فيهما الجوع والحرب فعلته الشنعاء كما في المملكة الأولى . وبالطريقة نفسها رد الأمير عادية الدمار عن هاتين المملكتين .

ثم ركبوا السفينة يؤمون مسقط رأسهم . وفي ذات ليلة ، انثالت على أحد الأخوين الأكبرين الخواطر السود ، إذ قال للآخر : « لقد حصل أخونا الصغير على ماء الحياة ؛ وهذا يعني أن والدنا سيورثه المملكة ، وسيقضي على حظنا وأمانينا ! ! » . فاضطرمت في صدريهما فكرة الانتقام ، وتآمرا على اغتيال أخيهما . وبينما كان نائماً في ذات ليلة ، أفرغا ماء الحياة من كوبه ، وملآه بدلا من ذلك بماء شديد الملوحة . ولدى أوبتهم لقصر أبيهم تناول

الأمير الصغير الكوب، وقدمه لأبيه؛ وما كاد الوالد يرشف جرعة منه حتى اشتدت عليه وطأة المرض، وساءت حالته، وبينما الوالد كذلك جاء الولدان الآخران وأخذا يتقولان على أخيهما ويتهمانه بتسميم الماء. ثم قدما لأبيهما ماء الحياة الحقيق؛ وما كاد يرشف قليلا منه حتى تماثل، وأخذ وجهه يتلألأ بالنضارة والنشاط كأنما عاد إلى صباه. وذهب الأخوان الأكبران إلى الصغير وخدعاه بقولهما: لقد حصلت في الحقيقة على ماء الحياة ولكن بما أنك فرطت في الحيطة والحذر، فلقد أفرغنا الماء من كوبك دون أن تدرى؛ وزيادة على ذلك فسيحاول أحدنا في غضون هذه السنة أن يستولى على قلب أميرتك. ولكن حذار من أن تخوننا؛ وإلا فلن نتردد في القضاء عليك! وإنك تعلم أننا لا نوعد إلا تحقق الوعيد!!».

وما كان من الأخوين إلا أن أوغرا صدر والدهما عليه حتى أصدر الحكم بقتله؛ فأمر صياده الخاص بتنفيذه، وبعد أن توغل الأمير والصياد في الغابة، لاحت أمارات الحزن على محيا الصياد فسأله الأمير عما به؛ فأجابه الصياد: «من المفروض على أن لا أجاهرك بالسر؛ ولكنى أرانى مدفوعاً إلى الإفضاء به، من تلقاء عاطفتى وشفقتى عليك!». فقال له الأمير: «قل بشجاعة ما تشاء، فليس عليك من بأس!». فأجابه الصياد، مصعداً زفرة عميقة: «لقد عهد إلىّ والدك الملك بقتلك!». فاعترى الحزن الأمير آنئذ، وقال والخوف يكاد يعقل لسانه: «أناة أيها الصياد! إن روحى عزيزة على، فارحمنى يرحمك الله!». وقرت في نفسه فكرة التنكر بزى الصياد، ففعل. وقفل الصياد راجعاً إلى القصر؛ أما الأمير فتوغل في الحرج ...

وبعد مدة قصيرة، وردت ثلاث عربات مثقلة بالذهب والحجارة الكريمة إلى قصر الملك؛ وقدمتها الملوك الثلاثة للأمير الأصغر، اعترافاً بفضله عليهم عندما أعطاهم السيف الذى هزموا به الأعداء، والخبز الذى ردوا به عادية الجوع الفاتك. وتجاوبت في نفس الملك آنئذ أصداء فكرة فقال: «لعل ابنى يكون بريئاً؟!» وعض بنانه من الندم على إعدامه. ولكن الصياد كان في حضرته فصرخ بحدة قائلا: «إن ابنك لا يزال حياً يا مولاى، إذ لم يطاوعنى قلبى على تنفيذ أمرك!». وقص عليه ما جرى. فسرى عن الملك، وتقشعت آخر سحب الكآبة عن وجهه، وأمر بأن ينادى في طول البلاد وعرضها بأنه قد سمح لابنه بالعودة إلى كنفه.

وفى ذلك الحين كانت أميرة القلعة المسحورة، قد أمرت أن تفرش الطريق إلى قلعتها بالذهب الخالص الوهاج؛ وأمرت حشمها أن يسمحوا بالدخول فقط لمن يمشى على الذهب، وأن يرجموا كل من يطرق جانب الطريق. وعندما حان الوقت الذى ذكرته الأميرة لعريسها المنتظر، طافت في نفس الأمير الأكبر الذهاب إلى القلعة، والإعلان بأنه عريس الأميرة. فامتطى جواده يوم القلعة؛ وعندما وصل على مقربة منها، ورأى الطريق الذهبية أشفق أن يمشى عليها؛ ولذا جنح إلى الجهة اليسرى وعندما وصل إلى الباب أشار الحراس عليه أن يعود أدراجه. وبعد ذلك، ركب الأمير الثانى في طريقه إلى القلعة. وعندما خطا جواده على الطريق بقائمتيه الأماميتين خشى أن يمشى فوقها، ولذا جنح إلى الجهة اليمنى ولدى وصوله إلى الباب، رفض الحراس أن يدخلوه، وأمروه أن يرجع من حيث أتى: وأما الأمير الصغير الذى ظل طوال هذه المدة يجول في الأحراج مهدهداً آماله بالصبر، فتذكر أن الوقت قد أزف؛ ولذا ركب جواده ومشى على الطريق الذهبية وعندما بلغ الباب انفتح له على مصراعيه، واستقبلته أميرة القلعة بكل ترحاب. وبعد مدة قصيرة احتفل بزواجها احتفالا رائعاً؛ ثم أخبرت الأميرة زوجها أن والده قد عفا عنه، وأنه جد مشتاق لرؤيته: فذهب في الحال إلى أبيه، وقص عليه كيف خانه أخواه وكيف هدداه بالقتل إن باح لأحد بشيء مما فعلاه. ولما اطلع الملك على جلية الأمر عزم على معاقبة الأخوين. فلما علما بذلك لم يبق أمامهما إلا أن يهجرا البلاد إلى غير رجعة

القدس كلية ترا سانطا **ماهر فرحات سعيد**



الايمان والروح

[تأليف السيد أحمد عبد المنعم الحلواني]

لم أكد أقرأ كلمة إهداء هذا الكتاب، وهي بالطبع فاتحته، حتى لقيت موجة من الروحانية تجتاح نفسي، وحتى تبين لي أن مؤلفنا بلغ مستوى صوفياً لا يبلغه السالك هوناً. قال المؤلف:

الإهداء: إلى الذي أحبه بروحي وعقلي ومخي وعظامي ودمي، وأهتف باسمه ما تردد في نفس من ذات روحي ومن أعماق نفسي

وله محياي ومماتي، وفي جاهه وكنفه أعيش، وبسابغ كرمه أحيا

إلى ملك الملوك السبوح القدوس، ربنا ورب الملائكة والروح

وإلى الذين يحبونه فيحبونني وأحبهم بحبه، وفي ظلاله نحيا في الجنائن حياة السعداء، ونصل إلى روح الحقيقة فنجتلي من نورها بهجة الجمال ورحيق الوصال.

ويبسط المؤلف منهجه في التفكير فيقول إن من عادته أن يدون أفكاره ويبحث معتقده في شيء بنفسه أولا، ثم يبدأ في القراءة لغيره، ثم يمحص ما يقرؤه لئلا يفوته الانتفاع بما لم يصل إليه فكره، وحتى يوازن بين ما وصل إليه وما وصل إليه غيره، ويجتهد أن يصل إلى الصواب ما استطاع.

ويذكر أنه لم يرد بكتابه كتاب علم جاف، بل أراد به كتاب إيمان وروح.

وهذا المنهج -- وقد التزمه المؤلف بالفعل -- منهج بالغ السلامة، وحقيق بأن يفيد كل قارىء ويظفر برضاه.

وقد بدأ المؤلف بالحديث عن المعرفة الفطرية وكيف يستدل على وجود الله من صنعه سبحانه، ثم تحدث عن أن الإنسان بطبعه متعبد يطلب معبوده، وقد ضمن حديثه لفتة طيبة عن كيف أن الإنسان لا يملك جسده.

وفي فصل عنوانه « الحب نعمة وجمال » أذكرنا مؤلفنا بروائع الصوفية الأسلاف في المحبة والشوق. وتلا هذا فصل في التوحيد عنوانه « الإيمان بالغيب » ومن بعده فصل جمع فيه المؤلف أسباب انحراف الناس عن الحق

وقد عرض بعده لحكمة إرسال الرسل، وتكلم عن عناية الله بخلقه ومنابع الهدى وموارد الفكر الإنساني. وأردف هذا ببحث عن الروح، خلص منه إلى نتيجة تنزل على اللباب من التصوف الصحيح. ثم كتب عن المواهب والاكتساب والفيض الإلهي كتابة طواها على توجيهات خلقية عميقة الوقع في النفس.

وأورد المؤلف بعد هذا مجموعة من الشعر المرتجل لصوفي صالح هو « الشيخ علي عقل » وهو شعر فيه قوة إيمان وحرارة قلب، وفيه حب لسيدنا رسول الله (ص) وفيه وعظ مؤثر. وإننا لنستشف قيمة هذا الشعر إذا عرفنا أن الشيخ يرسله في مجالس الذكر إرسالا يتعب الراغبين في متابعته من الكاتبين.

ويمضي السيد الحلواني فيكتب عن النوم والأحلام وتعبيرها والعوالم غير المنظورة، وهو في كتابته يحمل على الشعبذات والأباطيل حملا، ويبدي نفوراً شديداً من كل ما قد يرده الاسلام الحق.

فأما الفصلان الأخيران من الكتاب فمن الساعة الرهيبة ساعة النزع الأخير، وعن حياة الروح بعد الموت، وهما فصلان يهزان الأنفس الزائغة ويفتحان الأعين الغافلة.

وكتابة المؤلف ليست من طراز ما يكتبه بعض محترفي التصوف مما لا يصلح إلا للعقول البسيطة والقلوب الغريرة. هي كتابة متعالية حتماً في فكرها وإن تكن متواضعة أحياناً في مظهرها. وهي كسائر الانتاج الصوفي الناجح، سرح ما أجدر الضاحي في معترك الحياة أن يتفيأ ظله، وحرم آمن ما أحوج الخائف من الشهوات المجنونة أن يقصد إليه.

هذا، وقد قدم الكتاب بكلمة بليغة الدكتور عبد الوهاب عزام، وهو ما هو في خدمة قضايا الايمان والروح.

أديب السعيد

نائب المشيخة اليومية بالدقهلية

مطبعة الرسالة